التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية
٦٥

Yanabee'a
ينابيع

مجلّة ثقافيّة تُعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام/ السنة ١٢/ العدد ٦٥ ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٣٦هـ/ أيلول ـ تشرين الأول ٢٠١٥م

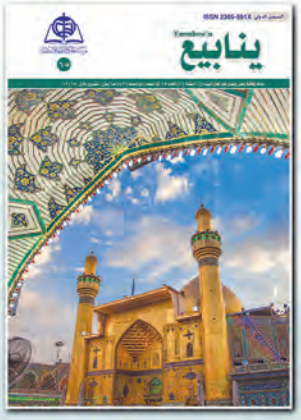

ينابيع ٦٥

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

موسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء انشرت ام لم تنشر.

قصيدة في مولد الإمام الرضا عليه السلام

إنْ زرتَ مشهداً

الشاعر: مرتضى شرارة العاملي

معذورةٌ تلك النجومُ لو انزوتْ ... في ليلة فيها الرضا قد أشرقا

فعليّنا شمسٌ ولو هي أشرقتْ ... ليلاً لأضحى اللّيل صبحاً مشرقا

ولكانَ عطر المسك يُعذر حينها ... لو ما غدا وسط النسائم عابقا

فإمامنا أصلُ الشذا والطيبِ، والمسكُ الذي ... هو فرعُه يغضي إذا عبقت رياحينُ التقى

والروضُ يُعذَرُ لو تواضع حسنُه ... وكأنّه ليس الخميلَ المورقا

فالحُسن كلّ الحُسنِ قدْ قدم الدنا ... حُسن التقى يبقى هو المتفوّقا

والطودُ لا حرجاً عليه لو انحنى ... وبدا برغم شموخه متخندقا

فـأمـام طـود الـعـلـم لا طـود يُـرى ... حـتـى ولـو حـاز ارتـفـاعـا شـاهقا
والـبـحـرُ لـو أمـواجُـه انـحـسـرتْ ... ولـو نهرا بـدا فـوقَ البسيطة ِضيّقا
فـبـحـورُ آل الـبـيـتِ فـاض قُـراحُـهـا ... لـتـزيـحَ فـي عـــزمٍ أُجـاجـا خانقا
غسلتْ قلوب المؤمنين و أطفأتْ ... لهبا تـأجّـج فـي الـضـلالـة حـارقـا
فـاضـتْ على كـلّ الـفِـجـاج بحقّها ... ليعـود بـاطـل كـلّ جـمـع زاهـقـا
وتـطـيـح بـالـفـتـن الـتـي وكـأنّـهـا ... طـوفـان نـوح قـد بـدا متدفقا
فـتـن تـفـشّـت فـي الـحـيـاة وأنـجـبـتْ ... فـي كـلّ جـمـع للضـلالة ناعقا
مـا مـن فتى جـهـلاً يـخـوض غمارها ... إلاّ و أصـبـح دون ريـــبٍ فاسقا
فـالـراكـبـون سفينة الـتـقـوى نجوا ... والـمـعـرضـون لـقـوا خضمّا مغرقا

هـل مـن فـــؤاد فـيـه صـدق عقيدة ... إلاّ وأضـحـى لـلأئـمـة عـاشـقـا؟!..
هـل مـن حِـجـى نبذ الـهـوى بتفكّر ... إلاّ لـهـذا الفكر صـار مـعـانـقـا؟!..
فـهـم السفينة والـوسـيـلـة والـهـدى ... ويـكـون حـتـمًـا مـن جـفـاهـم غـارقـا
حـتّـى ولـو ظـنّ الـنـجـاة بغيرهم ... ظـنَّ ابـنِ نـوح ٍأنْ سـينجو واثقا
لـكـن سـيـفْـجَـأُهُ الـخِـضـمُّ بلحظة ... ويصير فـي لُجج المهالك شاهقا
لـو أنّ مـن نبـذ الأئـمـة قـد أتـى ... بـعـبـادة الـثـقـلـيـن يـوم الملتقى
مـا نـالـه أجـــرٌ بـــذاك ودونَـــه ... سيكون بـابٌ للجنـــائن مغلقا
فـالـلـه يُـعـبـدُ حـيـث يَـأمـر لا بما ... تـهـوى النفـوس مـودّة ً وتعلّقا
والـلـه يـبـلـو بـالـمـكـاره خـلـقَـه ... ليَميزَ كذّابـــا ويظهر صادقا
هـم بـاب حـطّـة َقـد نجا مـن جـازَه ... وهـــوى الـــذي لـلـبـاب ظـلّ مفارقا
هـم ســادة ُالـتـقـوى ولا يعصيهمُ ... أحـــدُ الـــورى إلاّ وأصـبـح مـارقـا
هـــم فـخْـرُ آدمَ إنّـــه حـقّ لمن ... كـانـوا لـه الأبـنـاء هـذا المرتقى
ويـظـلّ كـلّ دَعِـــيّ عـلـم أو هـدى ... قـزمًـا بـظـلّ شـمـوخهم متشدّقا

شعري أمام شموخهم وكأنه ... وادٍ، أيُعقل أن يُرى متسلّقا!..
لكنْ سيول محبّة تجتاحُه ... فيضجّ بالمدح المؤكّد ناطقا
لمّا إمامُ الخلق يُولد إنما ... هم يولدون إذا الولاء تحقّقا
لكن إذا زاغوا يكون عليهمُ ... لله أكبرُ حجّة يوم اللقا

لمّا الرضا قدم الحياة تزيّنتْ ... وازداد كلّ النور فيها تألّقا
زّفتْ إلى العلم العريق فأنجبتْ ... نهجاً عظيماً عبقريّا سابقا
إنْ زرتَ مشهد فالحفيّ نزيلها ... بكَ دائما كان الرؤوف المشفقا
اقصدْه بالسُؤْلِ المُلحّ فإنّه ... ما ردّ يوما عن حياضه طارقا

يا ذا الرضا يا سيدي إنّي لكم ... سأظلّ حتى قبض روحي لاحقا
فاشفع لخادمك الفقير برحمة ... ليظلّ في خطّ الحسين موفّقا

مولاي حولك للموالي كربة ... أمسى الفؤاد لهولها متفتّقا
حلّت بجمع المؤمنين رزيّة ... أعداؤهم ذهلوا لها والأصدقا
آلافهم دفنوا بلا غسل ولا ... كفن وغسّل بالمدامع من بقى
لكن عزاء المؤمنين عليّهم وحسي ... ـنهم والطاهرون أولي التقى
قد علّمونا الصبر هم أهل له ... مهما بدا فرج النوائب ضيّقا
ورضىً بأمر الله رغم مرارة ... ومن الرضى لقب الرضا قد أُطلقا

صلوات ربي والسلام على الرضا ... ما ظلّ قلب تحت ضلع خافقا
وعلى الشموس السبع من آبائه ... والأربع الأبناء أصحاب النقا

أهم المواضيع

الأثر الحرفي في سياق آيتين من القرآن الكريم:
أ.م.د: عبد علي حسن الجاسمي

القرآنيات
ص (١٠)

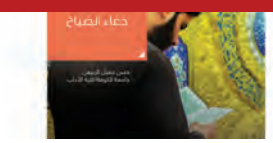

واحة الأدب
ص (٥٨)

الخبر والإنشاء في دعاء الصباح : حسن جميل الربيعي

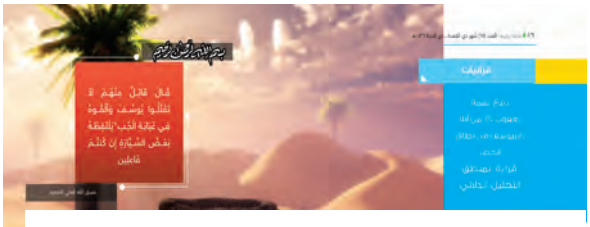

دفع تهمة يعقوب عليه السلام من أنه زجَّ بيوسف في نطاق الخطر:
د . سيروان عبد الزهرة الجنابي

القرآنيات
ص (١٦)

إضاءات السيرة
ص (٧٨)

سيرة النبي ﷺ وصفاته من القرآن الكريم:
باسم قاسم الدولة

قراءة في أسرار الحج: الشيخ د. وفقان الكعبي

قراءات
ص (٢٨)

طروحات عامة
ص (١١٠)

الأداء الإعلامي في حادثة الغدير: السيد محيي الدين الجابري

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

مع الفقيه
ص (٥٠)

طروحات عامة
ص (١١٨)

النجف الأشرف عاصمة المرجعية الدينية وصلتها بمدرسة أهل البيت عليهم السلام:
م.د. ثائر عباس النصراوي

كلمة العدد

رؤية... الفجوة بين الدين والمجتمع

المشرف العام..... ٨

قرآنيات

الأثر الحرفي في سياق آيتين من القرآن الكريم

أ.م.د: عبد علي حسن الجاسمي... ١٠

دفع تهمة يعقوب عليه السلام

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي... ١٦

قراءات

الفرق والمذاهب في عهد الإمام الحسن عليه السلام

د. علي عبد الزهـــرة الفحام..... ٢٢

قراءة في أسرار الحج

الشـــيخ د. وفقان الكعبي..... ٢٨

آمن الرسول

قبسات من حجة الوداع

الشيخ حميد البغدادي..... ٣٤

رأس الحكمة مخافة الله

السيد أسعد القاضي..... ٤٠

ومضات من مناجاة التائبين

حسين جودي كاظم الجبوري... ٤٤

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٥٠

واحة الأدب

الخبر والإنشاء في دعاء الصباح

حسين جميل الربيعي..... ٥٨

دلالة المشتقات على الترغيب في القرآن الكريم

د.أحمد كاظم عمّاش..... ٦٤

إضاءات السيرة

سيرة النبي صلى الله عليه وآله وصفاته من القرآن الكريم

باسم قاسم الدولة..... ٧٨

سيرة الإمام السجاد عليه السلام في نشر العلوم الإسلامية

بقلم الشيخ جميل الربيعي..... ٨٤

للفضيلة نجومها

الشيخ أبو الحسن الخنيزي

الشيخ عبد اللطيف جعفر العلي.. ٩٠

أبو أيوب الأنصاري مضيّف رسول الله في هجرته

محمد عـــلي جعفـــر..... ٩٥

في النفس والمجتمع

الصبر الجميل

الشـــيخ حســـن العيســـاوي.. ١٠٠

المخالطة والعزلة

فارس رزاق الحريزي..... ١٠٦

طروحات عامة

الأداء الإعلامي في حادثة الغدير

السيد محيي الدين الجابري..... ١١٠

النجف الأشرف عاصمة المرجعية الدينية

م.د. ثائر عباس النصراوي.. ١١٨

الغدير في دعاء الندبة

د.خليـــل خلـــف بشـــير..... ١٢٣

حكاية مستبصر..... ٥٤

في الذاكرة..... ٧٠

وقفة مع الذكرى:..... ٧٤

أجوبة مسابقة العدد (٦٣) وأسماء الفائزين.... ١٢٨

مسابقة العدد (٦٥)..... ١٢٩

كلمة العدد

رؤية... الفجوة بين الدين والمجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

يرى مراقبون أن الفجوة توسعت بين التعاليم الدينية وأفراد المجتمع بشكل عام، وبعض المنتمين لطبقات تعد مثقفة بشكل خاص، ما أدى إلى تغلغل الطروحات اللادينية والإلحادية في أوساط تلك الطبقات بشكل مكثف، داعية إياها للخروج على القيود المزعومة والتحرر من الدين الذي تعده من مخلفات الماضي الذي أكل عليه الدهر وشرب.

وقد أخذت الطروحات المذكورة موقعها من نفوس كثير من الطبقات، حتى بدت بوادر الانحدار الخلقي والديني ـ إن لم يكن قد تحقق ـ واضحة المعالم متجلية في معظم الأوساط المذكورة، ولعل الأمر يزداد كلما كان الوسط قريباً من منابع المعرفة وعلى خط التماس مع المؤسسة الدينية. وقد يرجع ذلك بشكل كبير إلى ضعف النفوس، وحب التجديد والتجدد، وعدم الاعتزاز بالمبادئ الحقة التي كان الحصول عليها توفيقاً ومدعاة للشكر لا سبباً للكفر بهذه النعمة.

ونُسبت هذه الظاهرة التي نعيشها اليوم ـ بل وقبل اليوم ـ في كثير من الأحيان وعلى ألسن بعض المتكلمين في المجالات الإنسانية إلى التقصير في إدارة المؤسسة الدينية، كما يعتبرها البعض المسؤول الأول عن أي انحراف يقع ضمن المجتمعات الواسعة أو الضيقة، ولا تُعلم وجهة النظر في ذلك بشكل دقيقٍ سوى أن المؤسسة الدينية قد أخذت على عاتقها إيصال المفاهيم الإسلامية بشكل دقيق إلى أفراد المجتمع الإسلامي، وهذا أمرٌ لابد من الاعتراف به إلّا أن ذلك لا يعني تحميلها كامل المسؤولية في مواقع الانحراف الخلقي والديني ما لم يتضح تلكؤها في أداء هذا الواجب المفترض. مع أن الملاحظ وبحسب معطيات الساحة اليوم وما أفرزه الانفتاح وحرية الكلمة من حقائق ربما كانت خافية على الرأي العام، أن من أهم أسباب ذلك..

أولاً: ما نجده اليوم من المحاولات العديدة في عزل المؤسسة التعليمية بشكل أو بآخر عن الواقع الديني والتبليغي، بتبرير فرض الحيادية في المجال العلمي، وجعلها بعيدة عن التكتّل والتمحور، وما إلى ذلك من الأوصاف البعيدة كل البعد عن الواقع الديني المفترض، وكأن شأنَ الدين شأنُ التيارات والكتل التي لابد من أن تقف الجامعة أمامها بحيادية كبيرة، حتى لا ينعكس واقعها إلى واقع التناحر والتجاذب في أوساط المتعلمين.

وليس مهماً معرفة أن هذه المحاولات جاءت عن حسن نية أو سوء نية، بعد أن أخذت حيزها في الواقع التعليمي، وأقنعت طلبتها بأن لا يتأثروا بالواقع الديني لئلا يعود سلباً على موقعهم في الجامعة. فأصبح الدين بالنسبة للناشئة كأنه حزب يمنع الانتماء له، أو – على الأقل – يُعزل المنتمي له بشكل يعتبر نفسه غريباً بين أقرانه وزملائه.

مع أننا في المقابل نرى المؤسسة الدينية تحاول جاهدة إيصال المفاهيم الدينية بأشكال مختلفة إلى الأوساط العلمية والأكاديمية، وتعمل بشكل مكثف في حثّ المسؤولين على تحمل هذه المسؤولية، وإيجاد الطرق البديلة للمناهج التعليمية التي أسست على زرع المفاهيم المنحرفة، بل إنها تنبّه العاملين في المجالات العلمية المختلفة – كلما سنحت لها الفرصة – لتحمل هذه المسؤولية من دون أن تتهاون أو تتراجع عن ذلك.

بل نرى المؤسسة تزج برجال الدين ليعقدوا الندوات والمحاضرات، بل إنها تستقطب الشباب من خلال استضافتها لأعداد كبيرة منهم لتعرّفهم بتراثهم، وتوصل لهم معالم دينهم بشكل متوازن من دون أن يؤثر ذلك سلباً على واقعهم العلمي والأكاديمي. لذا فاللازم الانتباه إلى محاولات عزل المؤسسة التعليمية عن الواقع الديني، والعمل علناً ضد تلك المحاولات، وتحمل كامل المسؤولية في ذلك، ليعرف من لهم أجندات خاصة أننا أصحاب المبادرة، ولا مجال للدخلاء في واقعنا الديني والأخلاقي.

وثانياً: اعتبار القيم الدينية والأخلاقية طروحات عصرية، والناظر فيها كالناظر في الطروحات العصرية الأخرى، وكأن المفروض به أن لا يتأثر بها ولا ينجذب إليها، وله أن يستمع إلى طروحات مضادة على حدٍّ سواء، ولذا نرى اليوم فسح المجال لأصحاب الأفكار المسمومة، أو الصاخبة التي تهزأ بالدين والقيم الإسلامية الأصيلة ليجوبوا المؤسسات التعليمية بشكل مقرف، وليلقوا من الحفاوة والتكريم ما يندى له الجبين، حتى أصبحوا أمثلة للوعي العلمي والفكري، وما ذلك إلا للتناقض الذي يعيشه المعنيون بين النظرية الأولى من عدم فسح المجال للدين لإبعاد الجامعة من التكتل والتحزب واعتبار الدين من هذا القبيل، وبين فسح المجال لهؤلاء الشرذمة من الدخلاء على مجتمعاتنا الإسلامية التي كانت ولا تزال مجتمعات محافظة لها امتيازاتها الأخلاقية والدينية، واستحقاقاتها الخاصة. فالحذر الحذر .. وكل يعرف مسؤوليته أمام الله تعالى ودينه.

ومن المؤسف جداً عدم وضوح الرؤية لدى الكثيرين من أصحاب الشأن الذين تدور حولهم الأمور، والتيار الجارف يجري من دون توقف، وكلما ازدادت الضحايا يزداد السؤال عنها غداً.

ومن الله نستمد العون في النهوض بهذه المسؤولية وهو خير معين.

■ **المشرف العام**

قرآنيات

الأثر الحرفي في سياق آيتين من القرآن الكريم

أ.م.د: عبد علي حسن الجاسمي / كلية الآداب/جامعة الكوفة

ينابيع

تتعرض دلالات المفردات في سائر النصوص لنوع من الفتور أو القوة، بناء على تعرضها لسياقات المقال والمقام، فالنص في البيئة اللغوية المصحوبة بسياق ما، ينتج دلالة قوية يمكن أن نسميها دلالةً كثيفةً، ولا نريد بالكثافة: الغلظة والثقل بل هي تلك الدلالة المتراكبة طبقاتٍ بعضُها فوق بعض تبعًا لإمداد عنصر السياق لها بما يؤهلها؛ فتَنتُج عنه الدلالات المتعددة، فإن فَقدت الروافدَ السياقية اقتصرت على معانيها السطحية، ودلالتها الأولية، وهو ما يعرف بالمعنى الحَرْفِيّ. ويغيب تفاوت الدلالة وفتورها وقوتها في النص القرآني وتتلاشى فيه المعاني المألوفة في سائر النصوص، إذ تصحبه مفردات إعجازه وتأخذ مفرداته بعضها بحُجز بعض وإن بدت في مظهرها ذات دلالات نمطية، وهي في حقيقتها ليست كذلك بل هناك دقة متناهية اتسمت بها مفردات النص القرآني في مجالها الدلالي، ولم يتحدد نطاق هذه الدقة في حيز المفردات بل انصرف ذلك إلى الحروف، في ظاهرة رافقت النص القرآني منذ وعته العرب حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها.

في آيتين كريمتين من آيات الذكر الحكيم وردت بعض الحروف فيهما في سياقات تبدو للقارئ الاعتيادي أنها ذات دلالات واحدة وهي في حقيقتها ليست كذلك، إذ هناك سياقات رافقت ورود هذه الحروف غيّرت من معناها وأعطتها زخمًا دلاليًا ذا قصدية واضحة. وهذه الحروف

قرآنيات

قد تكون حروفًا للمعاني بنحو حروف الجر وحروف النهي أو النفي، أو تكون حروفًا بعينها نحو الضمائر المتصلة، بل قد تكون حركة إعرابية في بعض المواضع.

الآية الأولى:

قوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**) (سبأ: ٣)..

والآية الثانية:

قوله تعالى: (**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**) (يونس: ٦١)

١ـ لَا يَعْزُبُ / مَا يَعْزُبُ.

عزبَ يعزُبُ عُزوبةً: ذهب أو غاب أو بعُدَ. وعَزَبَ عنه يَعْزُبُ عُزوباً: ذهَب. وأَعْزَبَه اللّه: أَذْهَبَه. وقوله تعالى: (**عالمُ الغَيْبِ لا يَعْزُب عنه مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السموات ولا في الأَرض**) معناه: لا يَغيبُ عن علْمه شيءٌ. وفيه لغتان: عَزَبَ يَعْزُب، ويَعْزِبُ إذا غابَ [١]. والمتحصل من أصحاب كتب المعجمات والتفسير أن العزوب عبارة عن مطلق البعد، وأن الأشياء المخلوقة على قسمين: قسم أوجده اللّه تعالى ابتداءً من غير وساطة؛ كالملائكة والسموات والأرض. وقسم آخر أوجده اللّه تعالى بوساطة القسم الأول؛ مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون. ولا شك في أن هذا القسم الثاني قد يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود. فالمعنى: ما يبعد عن مرتبة وجوده من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إلا وهو في كتاب مبين، وهو كتاب كتبه اللّه تعالى، وأثبت صور تلك المعلومات فيه. ومتى كان الأمر كذلك، فقد كان عالمًا بها، محيطًا بأحوالها.

في الآية الأولى جاءت (لا) التي تدل على تخلص الفعل للاستقبال. فإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يكون مضارعًا، ونص معظم المتأخرين ذلك[٢].

أما (ما) في سياق الآية الثانية فهي التي تدخل على الفعل، ويطلق عليها النحاة (غير العاملة) بلا خلاف بينهم وإذا دخلت على الفعل الماضي بقي على مضيه وإذا دخلت على المضارع خلصته للحال عند أكثرهم. واعتُرض بأنهم إنما جعلوها مخلصة للحال إذا لم توجد قرينة غيرها تدل على غير ذلك[٣].

في ضوء ما تقدم فإن ظاهر الآية ٣ من سورة سبأ أنها وردت في سياق التهديد والوعيد لهؤلاء الكفار الذين ظنوا أنهم بمنجاة من قيام الساعة في المستقبل، إذ ارتبط بأذهانهم أن المستقبل لا يحوي قيام الساعة كفرًا وجهلًا وعنادًا لربهم، فخاطبهم على قدر عقولهم وبلغتهم التي ألفوا استعمالها معنى ومبنى. واللّه أعلم.

على حين جاءت (ما) في الآية ٦١ من سورة يونس لتقرير واقع حال المسلمين كافة ولصرف أذهانهم إلى ما يقومون به في وقتهم كما هو ظاهر الآية. أي: في موضع الحالة القائمة فعلًا. فما يكونون فيه من أمورهم هو قائم فعلًا وما يُتلى من القرآن الكريم قد وقع فعلًا. أما العمل فوقوعه مستوٍ في الحال والاستقبال ولكنه

في الاستقبال أوكد كي يتقنوا المخالفة فجاءت (**وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ**). فلما استوفى سبحانه وتعالى هذه الأفعال المرئية والواقعة فعلًا جاء النفي بـ (ما) ليؤكد أنه لا يغيب عنه سبحانه وتعالى شيءٌ مما يقع لهم ومما يقومون به.

فقوله تعالى: (**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ**) كلام مستأنف، وهو عبارة عن خطابين للرسولﷺ: الأول منهما عام بجميع شؤونه عليه الصلاة والسلام. والثاني منهما خاص؛ لكنه مندرج تحت عموم الأول. وإنما خُصَّ من العموم؛ لأن القرآن الكريم هو أعظم شؤون النبي ﷺ. والغرض منهما بيان الحالة الدائمة المستمرة، التي كان عليها في الماضي والحاضر، والتي يكون عليها في المستقبل؛ ولهذا عطف الثاني على الأول بـ(ما).

ومثلهما في ذلك قوله تعالى: (**وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**) إلا أن الخطاب به عام، يشمل أهل الأرض جميعهم، ويدخل فيه النبي ﷺ والمؤمنون دخولاً أوليًّا. والغرض منه بيان الحالة الدائمة المستمرة، التي كان أهل الأرض عليها في الماضي والحاضر، والتي يكونون عليها في المستقبل. والله أعلم.

٢ـ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ /وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ.

في (سبأ) الخطاب موجه للنبيﷺ بعد إخباره سبحانه وتعالى له بقول الكافرين. فيقول سبحانه وتعالى لنبيهﷺ أن يقول لهم إنهم سوف يرون ما يَحِلّ بهم. وعندما يصل إلى موضع الشاهد (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ) مستعملًا الضمير فذلك لوجود ما يدل عليه إذ تقدم (قُلْ بَلَى وَرَبِّي) فلم يقلْ سبحانه وتعالى: (**لا يعزبُ عن ربك**) لأن النبيﷺ قد أقسم بربه عند قوله لهم فيما بعد فوقع عندهم أنهﷺ يتحدث عن الرب تعالى فلا حاجة لذكره في السياق. والله أعلم.

أمافي(يونس) فالخطاب موجهٌ للنبيﷺ مباشرة وللمسلمين ولم يتقدم قوله تعالى (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ) ما يدلّ عليه فجاء التعبير الذي لا يمكن أن يعوَّض عنه لعدم وجود ما يشير إلى الضمير أو ما يدل عليه.

٣ـ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ / مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ.

النفي في سورة (يونس) أقوى وآكد ويدل على ذلك قوله تعالى: (**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ**) بزيادة (مِنْ) بخلاف سورة (سبأ) التي قال فيها: (لا يَعْزُب عنه مِثْقالُ ذَرَّةٍ) من دون (مِنْ). فجاء بـ (لا) النافية للجنس مجانسة لقوة النفي وتوكيده في آية سورة (يونس)، بخلافها في سورة (سبأ)، وهو المتناسب مع السياق، ذلك أن الكلام في سورة (يونس) على مقدار علم الله تعالى وإحاطته بالغيب واطلاعه على أفعال خلقه أينما كانوا. فناسب هذه التأكيدات والاستغراق الدالة عليه (من) و(لا) النافية للجنس، بخلاف سورة (سبأ) التي كان الكلام فيها عن الساعة(٤). قال الرماني: (وأما الزائدة [يقصد (من)] فلها حالتان: الأولى أن يكون دخولها في الكلام كخروجها، وتسمى الزائدة لتوكيد الاستغراق، وهي الداخلة على الأسماء الموضوعة للعموم، وهي كل نكرة مختصة بالنفي نحو: (ما قام من أحد) فهي مزيدة هنا لمجرد التوكيد، لأن (ما قام أحدٌ و(ما قام من أحد) سيان في إفهام العموم دون احتمال). والثانية: أن تكون زائدة لتفيد التنصيص على العموم، وتسمى الزائدة لاستغراق الجنس، وهي الداخلة على نكرة لا تختص بالنفي، نحو: (ما في الدار من

رجل) فهذه تفيد التنصيص على العموم، لأن (ما في الدار رجل) محتمل لنفي الجنس على سبيل العموم، ولنفي واحد من هذا الجنس...)[٥].

لأجل ما تقدَّم من نفي الديمومة والاستمرار في الأفعال الثلاثة السابقة، على سبيل الاستغراق والشمول، صيغت تلك الأفعال بصيغ المضارع المنفي، فعمَّ النفي فيها كل جزء من أجزاء الزمن من دون أن تُقيَّد بزمن معين. ويدلك على ذلك الاستثناء في قوله تعالى: (**إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**) فهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال التي اقتضاها عموم الشأن، وعموم التلاوة، وعموم العمل. والمراد[والله أعلم]: أنه تعالى شاهد على أهل الأرض جميعهم بما كان منهم، وبما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، يحصي عليهم أعمالهم؛ وكأنه قيل: (وما كنت وتكون في شأن، وما تلوت، وما تتلو فيه من قرآن، وما عملتم، وما تعملون من عمل؛ إذ أفضتم وتفيضون فيه، إلا كنا عليكم شهودًا).

ويعلم من دليل العموم في الأفعال الثلاثة من خلال استعمال النكرات الثلاث التي تعلقت بتلك الأفعال، والواقعة في سياق النفي، أن ما حصل في الماضي، وما يحصل في الحال، والمستقبل من تلك الأفعال سواء، وهذا من بديع الإيجاز والإعجاز.

٤ـ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ/ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

إنَ السياق في سورة (سبأ) سياق غيب مختص بالله تبارك وتعالى الذي يرتبط به مفهوم السماء أو السماوات، فهو جل شأنه يتحدث عن الساعة التي لا يعلمها إلا هو سبحانه، لذلك وضع هذا التعبير لارتباطه بالسماوات وحدها فقدمها على الأرض. أما ما جاء في سورة (يونس) فهو حديث عن أشياء يرتبط الإتيان بها بأهل الأرض لأنها مما يألفون. وليحيط سبحانه وتعالى بكل الأشياء الباقية التي مرت في صدر الآية الكريمة. والله أعلم. فضلًا عن (قد يكون في كل واحد من الشيئين صفة تقتضي التقدم فحينئذ يكون الترجيح لأهمهما في ذلك المحل وإن كانت الأخرى أهم في محل آخر... وأما تقديم السماء على الأرض فلأنها أكمل شرفًا ومستقرًا، وأُخرت في قوله تعالى في (يونس) لأنه لما تقدم ذكر الخطابين وهو قوله تعالى: (**وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**) وهذا بخلاف الآية التي في (سبأ) أيضًا فإنها منتظمة في سياق علم الغيب)[٦].

٥ـ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ / وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ.

الذي عليه أكثر النحاة أنّ (لا) في سورة سبأ هي العاملة عمل ليس، وفي يونس هي لا النافية للجنس. وكلاهما لا تعملان إلا في النكرة[٧].

وفي هاتين الآيتين قال ابن هشام الأنصاري: فأما قوله تعالى: (**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ**) فظاهر الأمر جوازُ كون (أصغر) و(أكبر) معطوفين على لفظ (مثقال) أو على محله، وجواز كون لا مع الفتح تبرئة،[٨] ومع الرفع مهملة أو عاملة عمل ليس، ويقوّي العطف أنه لم يقرأ في سورة سبأ في قوله سبحانه: (**عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**) الآية، إلاَ بالرفع لما لم يوجد الخفض

في لفظ (مثقال))[٩].

ولما ذكر تعالى أنه ما يعزب، ولا يعزب عنه أصغر الأشياء، التي لا يعرف الناس أصغر منها، وهي الذرة، بدأ سبحانه وتعالى وقدم ذكرها، ثم بيّن لهم بالعطف عليها أن هناك أصغر منها. وهنا ينطلق الذهن إلى أصغر المصغرات في مقدار، يستحيل عليه تصوره. ثم عطف بعد ذلك ما هو أكبر. وهنا ينطلق الذهن إلى الأشياء الكبيرة العظيمة، التي لا يستطيع عقل الإحاطة بها فشمل النص كل شيء. ومعلوم أن من علم أصغر الأشياء وأكثرها خفاء، كان علمه متعلقًا بأكبر الأشياء وأكثرها ظهورًا■

١) ظ: لسان العرب (عزب).
٢) ظ: الجنى الداني في حروف المعاني لحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) تحقيق طه محسن:٣٣٠.
٣) ظ: المصدر السابق.
٤) ظ: معاني النحو فاضل السامرائي:١/٤٠٦.
٥) الجنى الداني: ٣٢٠.
٦) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت٦٥١هـ) تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي: ٢٩٤.
٧) ظ: إملاء ما من به الرحمن، للعكبري (ت٦١٦هـ): ٢/ ٣٠.
٨) لا التبرئة مصطلح كوفي يقابله مصطلح لا النافية للجنس عند البصريين.
٩) مغني اللبيب: ٣١٧.

فضل القرآن

قال رسول الله ﷺ: إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن . . . له ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم . . . فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة.

(الكافي: ٢ / ٥٩٨ / ٢).

- وعنه ﷺ- في وصف القرآن - : من ابتغى العلم في غيره أضله الله.

(كنز العمال: ١٦ / ١٩٣ / ٤٤٢١٦).

وعن امير المؤمنين عليه السلام: تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور.

(نهج البلاغة/ خطبة:١١٠).

- وعنه عليه السلام- في صفة القرآن - : ينابيع العلم، وهو الصراط المستقيم، هو هدى لمن ائتم به. (الكافي/ ١/ ٥٩).

- وعن الإمام الصادق عليه السلام : في كتاب الله نجاة من الردى، وبصيرة من العمى، ودليل إلى الهدى.

(تفسير العياشي: ١ / ١٩٨ / ١٤٣).

- عنه عليه السلام: إن الله عز وجل أنزل في القرآن تبيانا لكل شئ، حتى والله ما ترك شيئا يحتاج إليه العبد، حتى والله ما يستطيع عبد أن يقول: لو كان في القرآن هذا، إلا وقد أنزله الله فيه.

(المحاسن: ١ / ٤١٦/ ٩٥٦).

قرآنيات

دفع تهمة يعقوب عليه السلام من أنه زجَّ بيوسف في نطاق الخطر

قراءة بمنطق التحليل الدلالي

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي / كلية التربية ـ جامعة الكوفة

ينابيع

إذا كان الله تعالى قد اختار الأنبياء على أساس حكمته، وأن حكمته تعالى تقضي أن يكون النبي المختار على قدر عال من الذكاء والحكمة وحسن التصرف والقدرة على حسبان الأمور بدقة كبيرة إلى الحد الذي يجنبه معها جملة من المخاطر وكماً هائلاً من المحاذير، فإذا كان الأصل في الاختيار بهذا المنطق فإنه يمكن لقائل أن يقول بأنه كيف ليعقوب أن يرمي بيوسف في الخطر حينما وافق على ذهابه مع إخوته؟، في الوقت الذي كان عقله يملي عليه أن لا يذهب معهم لأنه لا يأمنهم عليه، أليست موافقته على ذهاب يوسف تعد تغريراً به، ومخاطرة وزجاً ليوسف في ميدان السوء والأذى[1]، وما يسند ذلك أي أنه كان خائفًا عليه شاكًا في مكيدة إخوته به هو قوله للإخوة (**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**) (يوسف: ١٣) فخوفه على يوسف دليل حاسم على أنه كان يدرك بأن إخوته يكيدون له، فكيف سمح له بالذهاب معهم؟ ؛ ذلك أن فعل الشيء مع إدراك خطره وأذاه يدل على أن الفاعل غير مكتمل التفكير؛ لأنه أدرك السوء وفعله؛ وهذا التصور المضموني يُدخل النبي يعقوب عليه السلام نطاق الخطيئة لا محالة.

ولتنزيه النبي يعقوب عليه السلام من هذه التهمة، يمكن القول بأن يعقوب عليه السلام لم يكن يعلم بأن إخوة يوسف يريدون بأخيهم سوءاً؛ بل كان يسعى إلى توطيد العلاقة بين الإخوة جميعًا، ويعمل على درء الهوة بين يوسف وأخوته حتى تبقى العاطفة الأخوية بينهم حميمة، وفي حال رفضه لذهاب يوسف معهم فإن هذا سيدعو الإخوة إلى القول بأن الأب – يعقوب- يؤثر يوسف فيهم إلى الحد الذي لا يريد حتى أن يرافقهم في رحلتهم إلى أي مكان؛ لذا آثر يعقوب توشيج العلاقة بين إخوة يوسف ويوسف، فكان صدور الموافقة منه -والحال هذه- من باب حسن الظن وتقوية الآصرة بين الإخوة، وهذا أمر محمود محبذ محثوث عليه في كل الأديان السماوية؛ فصلة الأرحام من أصول التعامل السماوي ومن الأسس المنصوص عليها في كل ديانة أنزلها الله تعالى على الأرض؛ والدليل على أن يعقوب قد استشعر أن الإخوة متحسسون من يوسف هو قولهم له: **(قالُوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ)** (يوسف:١١-١٢)؛ لذا رغب في تقليل تلك الحساسية مقاربة منه إلى إعادة الأمور إلى نصابها من حيث

التقريب بين يوسف وإخوته؛ فلعله إذا خرج معهم غير مرة فإن العلاقة بينهم ستغدو حسنة وينتهي ذلك التحسس منهم تجاه يوسف، يقول الرازي: ((لو لم يرسله معهم مع مبالغتهم في إظهار الحب لاعتقدوا في يعقوب عليه السلام أنه يتهمهم على يوسف ويصير ذلك سببًا للوحشة العظيمة؛ فلهذه الدعاوى بعثه معهم))[٢]، ذلك بـ ((أنه إذا لم يرسله مع الطلب منهم والحرص، علموا أن سبب ذلك هو التُّهمة لهم والخوف من ناحيتهم))[٣]؛ لذا كان يعقوب ميالًا إلى تعضيد الشعور بالإخوة فيما بينهم، يزاد على هذا أنه عليه السلام قد حذرهم وأنذرهم من أن يقدموا على أي فعل تجاه يوسف بدليل قوله: (**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**) (يوسف: ١٣)، فقوله هذا جاء على سبيل التحذير لا على سبيل الاستيقان من أن الذئب سيأكله فعلاً، ولو كان كذلك لما سمح ليوسف بالذهاب معهم مطلقًا، ولكن كأنَّه يقول لهم: (سأرسله معكم ولكن يحزنني غيابه عني وإني خائف عليه من أن يمسه السوء ويأكله الذئب وأنتم غافلون)؛ لذا اعتنوا به واحرصوا عليه لئلا يقع مكروه، فهو حتى في خطابه هذا إلى الإخوة لم يكن يطعن بهم أو يتهم بشيء حتى لا يؤخَذ عليه أنه لا يريد أن يسمح ليوسف بالذهاب معهم حين طلبوا ذلك، بل أراد أن يدعوهم إلى الحذر والحرص على يوسف، ولم يكن يتهمهم حتى لا يثير حفيظتهم ويقوي العلاقة بينهم ويوسف، ودليل عدم اتهامه لهم وأنه خاطبهم بأسلوب لطيف هو قوله لهم: (**وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**)؛ فهذا القول يعد تسويغاً لهم وعذراً لهم وليس إدانة لهم أي (**إني أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ في حال كنتم عنه غافلين**)، فكأن السبب في حال أكل الذئب يوسف لم يكن قصديًا تقصُّدياً من إخوته؛ بل الداعي هو غفلتهم عن يوسف، أي إنهم كانوا غافلين عن يوسف في حال أكله الذئب، ولم يكونوا متنبهين إلى هذا الأمر، ولو تنبهوا لما أكله الذئب بناءً على حسن نية الأب بأبنائه، فحتى خطاب يعقوب كان على درجة عالية من الدقة واللطف حتى لا يثير حنق أبنائه، ولكي يحافظوا على يوسف فعلًا ولا يكونوا موضع اتهام من أبيهم ابتداءً، ولعل كلامه هذا لهم جاء بناءً على استشعار يعقوب نفسه بأن أبناءه يعتقدون بأنه يتهمهم ولهذا لا يرضى أن يصطحبوا أخاهم معهم وذلك بينٌ في قولهم له قبل إجابته إليهم: (**قالُوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ**) فقولهم (**ما لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ**) استشعر منه يعقوب بأنهم يعتقدون بأنه يتهمهم، لهذا حاول دفع التهمة عنهم بقوله: (**وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ**) فلم يتهم أو يوجه لهم التوقع منه بأنهم سيرتكبون جريمة؛ بل ساق كلامه على سبيل الكلام اللين حتى يكشف لهم بأنه لا يشك فيهم؛ بل يرغب منهم المحافظة على يوسف فعلًا.

فضلًا عن أن كلام الإخوة مع الأب كان مُطَمْئِناً له من أن يوسف في أيادٍ أمينة؛ إذ ابتدؤوا أولًا بإثارة عاطفة الأبوة لديه واستمالته لكي لا يرفض لهم طلبًا فـ (**قالُوا يا أَبانا**)؛ ((استعطافًا له وتحريكاً للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء وتوسلًا بذلك إلى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه))[٤]، بهذا

نلحظ أن المنطلق الأول الذي أسسوا عليه كلامهم ابتداءً كان مبنياً على أساس إقناع أبيهم بما يريدون لتنفيذ ما يبتغونه بيوسف، ثم أننا نجد بعد هذا استعطاف جملة من المؤكدات والتوثيقات التي تعمل على ترسيخ القناعة لدى يعقوب بأنهم صادقون بما يقولون؛ إذ قالوا: (**وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ**)، وقالوا: (**وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ**)، فكلتا العبارتين تدل على التوثيق ودفع الشك في نفس المتلقي ذلك بأنهم بنوا كل جملة مما قالوا على خمسة توكيدات وهي استعمال "إنَّ" الثقيلة الدالة على التوكيد، وتقديم المتعلق (له) الذي يدل على يوسف مما يثبت تخصيصه بالعهد فهم ناصحون له وحافظون له حصرًا لا لغيره، وهذا يدل على مدى اهتمامهم بيوسف دون غيره البتة مما يوحي بعدم غفلتهم عنه البتة، ومن ثمَّ ورود اللام المؤكدة المرتبطة بالخبر (لناصحون) و(لحافظون) تدعيمًا للتوكيد الابتدائي بـ (إنَّ) الثقيلة، ثم بناء الخبر على اسم الفاعل (ناصحون)* و(حافظون) مما يدل على ثبات صفة النصح والحفظ فيهم تجاه يوسف، ويزاد على هذا بناء الجملتين على أساس الاسمية لا الفعلية، ذلك بأن البناء على الاسمية إثبات وآكد من البناء على الفعلية[٥]؛ إذ يعد هذا البناء وجهًا من وجوه ثبات المعنى المراد وتوكيده، وبعد هذه التوكيدات في العبارتين اللتين عاهدها بهما أباهما قالوا مُعقِّبين بعد مقولة أبيهم: (**قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ**) (يوسف: ١٤) حيث قدموا كلامهم على أساس القسم الذي كشفت عنه اللام الموطئة في لفظة (لئن)[٦]، ومن ثم منحوا أباهم جرعة من الاطمئنان بقولهم على سبيل الحال (ونحن عصبة)؛ أي إن حالنا عصبة فنحن كثيرون متناصرون متعاضدون فكيف يمكن أن يأكله الذئب أو يتقرب منه أحد[٧]، فإذا غفل أحدٌ منا فلن يغفل الآخر لأننا جمهرة كثيرة، وبعدها أعربوا عن خسرانهم في حال أكل الذئب يوسف؛ لأن هذا يدل على عدم مقدرتهم على حمايته من جهة وفقدانهم يوسف من جهة أخرى؛ فقولهم: (**إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ**) ((كناية عن عدم تفريطهم فيه وعن حفظهم إيّاه لأنّ المرء لا يرضى أن يوصف بالخسران))[٨]؛ وهذا يدل على أنهم يحبون يوسف ولن يفرطوا به ولن يغفلوا عنه أبدًا؛ لأن أكل الذئب إياه يعد خسارة كبيرة لهم وفشلًا ذريعًا منهم، فإذا كانت هذه المواثيق مقدمة كلها للنبي يعقوب عليه السلام؛ فكيف له أن لا يُؤمِّنَ لهم ويبعث معهم يوسف، يقول الشريف المرتضى: ((أن يكون يعقوب عليه السلام لما رأى من بنيه ما رأى من الأيمان والعهود والاجتهاد في الحفظ والرعاية لأخيهم، ظن مع ذلك السلامة وغلبة النجاة، بعد أن كان خائفًا مغلبًا لغير السلامة؛ وقوي في نفسه أن يرسله معهم إشفاقًا من إيقاع الوحشة والعداوة بينهم))[٩] ذلك بأن المواثيق والعهود التي منحوها لأبيهم يعقوب لا تدع مجالًا أو فسحة في نفسه من إثارة الشك بهم أو توقع غير المحافظة على يوسف؛ إذ قدموا ليعقوب كل ما يأخذ به إلى الاطمئنان على يوسف تحسبًا منهم من أن يمتنع من إرساله معهم؛ إذ ((لما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينئذ بإرساله معهم لأجل أنسه))[١٠]؛ بهذا نجد أن تعضيد مقولاتهم الكلامية مع أبيهم بالعهود الغليظة والمواثيق المقنعة؛ ما كانت إلا لـ ((يزكوا أنفسهم عند أبيهم ويجلوا قلبه من

كدر الشبهة والارتياب حتى يتمكنوا من أخذه والذهاب به))[11] فيطمئن أبوهم لهم -والحال هذه- ولا يتركوا في داخله أي مكان للارتياب بهم أو عدم الاطمئنان على يوسف منهم مطلقًا.

من هنا نقول بأنه لا مجال لاتهام يعقوب بأنه زج بيوسف إلى الأذى؛ لأنه:

أولاً: لم يعلم بأن أبناءه سيفعلون بيوسف هذا؛

وثانياً: إن يعقوب أراد توطيد العلاقات الأخوية بين يوسف وإخوته حتى يذهب التحسس من نفوسهم تجاهه؛ ويزاد على أمر آخر وهو أن كثرة العهود التي قطعها إخوة يوسف على أنفسهم لأبيهم وصدور العبارات التطمينية منهم إليه من أن يوسف لن يصيبه مكروه، وأنهم عصبة ولن يغفلوا عنه، دعا يعقوب إلى الاطمئنان إلى قولهم والركون لتنفيذ مطلبهم ظنًا منه بهم المحافظةَ على يوسف فعلًا، وبهذا يثبت بأن يعقوب لا يعلم الغيب واليقين بما سيحدث وإلا لما سمح بما حدث البتة؛ لهذا لا تهمة على النبي يعقوب عليه السلام والحال هذه مطلقاً؛ ذلك بأنه أحرص من أن يدع ولده في غياهب الهلكة من دون أن يمنع ذلك فيما لو كان يعلم به ابتداءً■

---

١) ينظر: الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء: ٦٩، والرازي: عصمة الأنبياء: ٥٢.

٢) الرازي: عصمة الأنبياء: ٥٢، وينظر: مالك مصطفى العاملي: عصمة الأنبياء بحوث وتساؤلات: ٣٦٣.

٣) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء: ٦٩.

٤) الشوكاني: فتح القدير: ١٤/٣.

* إن المبتغى الدلالي من لفظة (ناصحون) هو ((إنا عاطفون عليه قائمون بمصلحته نحفظه حتى نرده إليك))، البغوي: معالم التنزيل:٢١٩/١.

٥) ينظر: أبو السعود: تفسير أبي السعود: ٢٤/٤ /٥٧.

٦) ينظر: الطوسي: التبيان: ١٠٨/٦، و الشوكاني: فتح القدير: ١٥/٣.

٧) ينظر: الطبرسي: مجمع البيان: ٣٧١/٥، والفيض الكاشاني: الصافي: ٨/٣.

٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير: ٢٣٢/١٢.

٩) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء: ٦٩، وينظر: الرازي: عصمة الأنبياء: ٥٢.

١٠) السعدي: تفسير السعدي: ٣٩ ٤/١.

١١) الطباطبائي: الميزان: ٣٣٢/٢.

مساجد من العالم

مسجد قُباء:

أول مسجد بني في الإسلام،بناه بني عمرو بن عوف، وصلى فيه رسول الله ﷺ ونزل فيه وفي أهله قوله تعالى : (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِين)، فهو المسجد الّذي أسّس على التقوى، ويقع في نحو ميلين من الجنوب الغربي للمدينة المنورة. وقد وردت عدة روايات عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام في فضله والصلاة فيه، منها قول رسول الله ﷺ: (الصَّلاةُ في مَسجِدِ قُباءَ كَعُمرَة).

قراءات

الفرق والمذاهب السياسية والفكرية في عهد الإمام الحسن عليه السلام

د. علي عبد الزهرة الفحام

ينابيع لم تكن الحالة الإسلامية في عهد الإمام الحسن عليه السلام على لون واحد من التوجهات السياسية والفكرية، وإنما كانت مزيجاً غير متجانس من التيارات السياسية والاتجاهات العقدية التي انعكست بشكل كبير على المشهد السياسي، وأسهمت في تشكيل وتبلور المواقف والاصطفافات سواء مع أهل البيت عليهم السلام أو مع بني أمية وأذنابهم، مما جعل تلك الحقبة من أصعب وأعقد المشاهد التي مرت في تاريخ الإسلام ولا سيما في تاريخ التشيع.

ولا ينفصل هذا التعقيد في الميول والتوجهات عن مجمل الفتن التي عصفت بالساحة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله،

ابتداءً بانقلاب السقيفة الأسود وانتهاءً بمقتل عثمان بن عفان (ت٣٥) وما تلاه من حروب ضد الجماعات المناهضة لشرعية حكومة أمير المؤمنين عليه السلام (ت٤٠) التي أحدثت تصدعات كبيرة في الجبهة الداخلية الإسلامية وأنتجت عملية فرز واضحة للجماعات والأفراد كانت مبنية في الغالب على أساس الاصطفافات السياسية أكثر منها اصطفافات فكرية أو طائفية.

أ. الشيعة

ينقسم التشيع في صدر الإسلام إلى قسمين:

أولاً: التشيع العقائدي

وهم الفئة القليلة المؤمنة من الصحابة والتابعين الذين كانوا يعتقدون بأحقية أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه إمام معصوم مفروض الطاعة بنص القرآن، وبنص من رسول الله صلى الله عليه وآله، كطاعة الله ورسوله، وكانت هذه الفئة قليلة في زمان الإمام الحسن عليه السلام، حتى إنك لا تجد لها صوتاً يذكر، وقد آثروا الاقتداء بالإمام الحسن عليه السلام بعد توقيع الصلح وجلسوا في بيوتهم، وكانوا من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

ثانياً: التشيع السياسي

وظهر بعد تسلم أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة إثر مقتل عثمان بن عفان، ويقصد به: المناصرة لدولة أمير المؤمنين عليه السلام باعتباره سيد أهل البيت في زمانه والخليفة الرابع (الشرعي)، وشكّل التشيع السياسي أحد رموز المعارضة السياسية للحكم الأموي اللاحق، واللافت في كثير من هؤلاء (المتشيعين السياسيين) موالاتهم لأبي بكر وعمر، وإنما حصل لهم الخلاف الكبير مع عثمان بسبب منهجه السيِّئ في تقريب بني

أمية وظلم المسلمين واغتصاب أموالهم وحقوقهم.

وهؤلاء (الشيعة السياسيون) لم يكونوا على مستوى واحد من الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام؛ والسبب في ذلك أنهم لم يكونوا يعتقدون بإمامته النصية وعصمته القرآنية، وربما قيل لهم (العلويون) في مقابل (العثمانيين)، فهذا حبان بن عطية: (كان علوياً؛ أي يقدم علياً في الفضل على عثمان، وهو مذهب مشهور لجماعة من أهل السنة بالكوفة)[1]، ولقد كان لأصحاب التشيع السياسي دور سلبي كبير في إضعاف درجة الوعي لدى الجماعات الشيعية، وساهم اندفاعهم غير المنضبط في الإضرار بحركة الإمام الحسن عليه السلام وإضعاف موقف التشيع في الكوفة، في حين ظهرت من بعضهم مواقف (خيانة) و(خذلان) ساهمت بشكل فاعل في قلب المعادلة العسكرية لمصلحة بلاد الشام، وتصديع الموقف الداخلي لدولة الإمام الحسن عليه السلام، وكانت أحد الأسباب الرئيسة لقبول الإمام بمعاهدة الصلح مع زعيم حركة التمرد معاوية بن ابي سفيان (ت٥٩).

ويمكننا أن نرصد المواقف الآتية من قبل بعض (الشيعة) السياسيين:

١ـ الخيانة

هذا الموقف ناتج عن مزيج من ضعف العقيدة، وقلة الهمة، وانغماس في الدنيا، وقلة الورع في الدين، وكان معاوية عالماً أن كثيراً من زعامات العراق وشخصياته تنطوي على هذه النفسية المريضة فعمل بشكل حثيث على استغلال طمعهم وترغيبهم إما بترك الإمام الحسن عليه السلام واللحاق بالشام أو خذلان الإمام في الوقت المناسب بما يمكن جيوش معاوية من إحكام سيطرتها على الموقف العسكري المتأرجح، وفي هذه السياق يواجهنا موقف بعض العشائر التي استجابت لإغراءات معاوية وعروضه الوضيعة وساهمت بقلب المعادلة الاستراتيجية، ولا شك أن كثيراً من تلك العشائر لم تكن ذات ميول شيعية – لا سياسية ولا عقدية – وإنما هي خليط من مجمل التيارات السياسية والفكرية التي حكمت العقلية العراقية آنذاك.

ولعل موقف عبيد الله بن العباس كان من أهم مواقف الخيانة والخذلان التي سجلها لنا التاريخ لشخصية عرفت بتشيعها (السياسي) وموالاتها لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان موقفه واضحاً في ترك الفرقة العسكرية القوية والمهمة التي كلفه الإمام الحسن عليه السلام بقيادتها والمرابطة على تخوم الأراضي العراقية، وقد خضع لعنه الله لإغراءات معاوية وترك موضعه والتحق بجيش معاوية فخسر الدنيا والآخرة.

٢ـ الاعتراض على الإمام

أورد المؤرخون جملة من النصوص والآثار حول اعتراض أغلب وجوه الشيعة وأعيانها على خطوة الصلح التي أقدم عليها الإمام الحسن عليه السلام، ولا شك أن تلكم الاعتراضات تكشف حقيقة أن هؤلاء لم يكونوا قد تشبعوا بالعقيدة الشيعية الحقة التي تقوم على أساس الطاعة والتسليم للإمام المعصوم عليه السلام، ولهذا وصفناهم بأنهم (شيعة سياسيون) تنطلق مواقفهم وأقوالهم من النظرة الشخصية والتقييم الذاتي للأحداث دون النظر في البعد الغيبي الذي يمثله الإمام المعصوم عليه السلام، فمن ذلك ما أورده أبو الفرج الأصفهاني قال (واجتمع إلى الحسن وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين علي يلومونه ويبكون إليه جزعًا مما فعله)[2]، وروى أبو مخنف، عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد، قال: (لما بايع الحسن عليه السلام

معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال)[٣]، وقد قال أحدهم للإمام الحسن عليه السلام: (يا بن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا). فاشتد على الحسن رضي الله عنه، فقال: (إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقيًا على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن)[٤].

٣ـ سوء الأدب مع الإمام

يمكن النظر للمواقف السابقة لبعض رموز الشيعة تجاه خطوة الصلح على أنها انعكاس لحالة الترهل العقدي الذي كانت تمر به الشيعة إبان تلك الحقبة الحساسة، وربما تجاوزت تلك الاعتراضات في بعض الأحيان حدود اللياقة والأدب في التعامل مع الإمام المعصوم والتعاطي مع أوامره وقراراته، وقد وصل الأمر ببعض أولئك الشيعة أن يصفوا الإمام الحسن عليه السلام بأنه (مُذلّ المؤمنين)، وهي من أشد المواقف والعبارات التي أثرت في قلب الإمام المثقل بالهموم والجراح من جراء ما وصلت إليه حال المسلمين بعد نصف قرن من انطلاق رسالة الإسلام، واختلفت المصادر حول شخصية قائلها فأكثر المصادر تشير إلى (سفيان بن أبي ليلى الهمداني)، ويظهر من بعض الروايات أنه ما قالها استهزاءً أو إهانة وإنما بدافع الحمية غير المنضبطة [٥]، في حين ذكرت بعض المصادر أن القائل هو علي بن محمد بن بشير الهمداني[٦]، في حين أشارت مصادر أخرى أن قائل هذه العبارة هو حُجر بن عدي الكندي، ولا تعارض بينهما لاحتمال تعدد القائل[٧].

ب. التيار الأموي والعثماني

شكل التيار الأموي واحداً من أبرز القوى الفاعلة في الساحة الإسلامية، وقد اتخذ هذا التيار من بلاد الشام معقلاً وبعداً استراتيجياً مهماً منذ عهد عمر بن الخطاب الذي أطلق السلطة لمعاوية بن أبي سفيان ووفر له الحصانة السياسية وحجب عنه الرقابة ولقبه بـ (كسرى العرب)، مما ساعده في تقوية نفوذه مستغلاً البعد النسبي لبلاد الشام عن حاضرة الخلافة وقلة احتكاك أهلها بالرعيل الأول من الصحابة، فعمد إلى تأصيل ثقافة (شامية) قوامها تقديس البيت الأموي وتعرية الناس عن القيم المجتمعية وبناء العلاقة بين الدولة والرعية على نظرية الترهيب والترغيب مما أنتج مجتمعاً براغماتياً يبني مواقفه على أساس المصالح، فكان الشاميون من أطوع الناس إلى معاوية إما خوفاً من بطشه وسلطانه أو طمعاً في ماله ومغرياته.

أما التيار العثماني فقد برز في عهد عثمان بن عفان، وهو تيار من خارج بلاد الشام، ارتبط نفسياً ومصلحياً بعثمان بعد تسلمه زمام الخلافة، وصار يلعب أيضاً على وتر المصالح والنفوذ في دولة عثمان المترهلة، وقد ضم إليه لفيفاً من التابعين الذين خدعوا بمظلومية عثمان بعد مقتله وتأثروا بالدعاية التي أشرف عليها عائشة وطلحة والزبير بمساندة من بني مروان وبني أمية، فصار عندنا تيار واسع في الساحة الإسلامية معروف بالهوى العثماني، ويرى في عثمان أفضلية على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي كثير من المواقف كان التيار

العثماني متماهياً مع التيار الأموي، وقد جمعتهم لغة المصالح، وتوحدوا على عداء أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، حتى يشعر الباحث كثيراً بتلاشي مظاهر التمايز بين التيارين، وكأنهما تيار واحد بتسميات متعددة، ويبدو أن بعض الخصوصيات القبلية والمناطقية هي التي ترسم معالم الفرز بين هذين التيارين، فغالبية التيار الأموي هم من قبيلة بني أمية والحاشية المحيطة بها وجمهور بلاد الشام، أما التيار العثماني فقد تزعمه آل مروان وآل أبي معيط، وقد التقى هذان التياران في مجموعة من المغفلين المخدوعين أو النواصب الحاقدين كأمثال المغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن حريث المخزومي، والحصين بن نمير، وزياد بن أبيه وابنه عبيد الله، وكثير بن شهاب، والنعمان بن بشير الأنصاري، وبسر بن أرطأة.

ج. التيار البراغماتي المتلون

يقصد بالبراغماتية النفعية أو تغليب الجانب العملي على النظري والجانب النفعي على المبادئ، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية Progma وتعني (عمل) أو (مسألة عملية)، وقد مثل هذا التيار السواد الأعظم من المسلمين الذين لم يعرفوا من الإسلام إلا اسمه وشكله وهم للكفر والنفاق أقرب منهم للإسلام، ويتميز هذا التيار بعدة صفات ومميزات من أهمها:

١. عدم ثباته على لون سياسي واحد، بل متلون ومتغير بحسب تغير الظروف والمصالح، وربما يجمع بين المتناقضات في حركته السياسية.

٢. لا يوجد له معالم مذهبية أو فكرية واضحة، وإن كان الثابت أن هذا التيار كان يرى الولاية لأبي بكر وعمر ويعتقد بهما وبصلاحهما وبشرعية خلافتهما، نعم، هو مختلف في موقفه من أهل البيت عليهم السلام ومن عثمان وبني أمية بحسب اختلاف المصلحة وبحسب قوة هذا الطرف أو ذاك ومقدار ما يملك من السلطة والنفوذ.

والذي يدقق في التوجهات العقدية لهذا التيار يجد أن الغالبية العظمى كانوا من النواصب بحكم ميولهم للدنيا وموالاتهم لأئمة الجور، إذ عرف هذا التيار بقربه من بني أمية، وتعاون معهم سراً وجهراً، وشكل وجوده في العراق شبكة من الجواسيس والعملاء الذين يرصدون الأحداث والمواقف ويبعثون بالتقارير إلى دمشق ويعملون على بث الفتن والأراجيف لإضعاف الجبهة الداخلية لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام وحكومة الإمام الحسن عليه السلام على حد سواء، وربما خرج بعضهم من شرنقة العمل السري إلى اتخاذ المواقف العلنية الصلبة في مؤازرة بني أمية ومعاداة أهل البيت عليهم السلام.

٣. من أبرز شخصيات هذا التيار الذين عرفوا بعدائهم لأهل البيت عليهم السلام ثم صاروا من أعمدة الدولة الأموية وجلاوزتها: الأشعث بن قيس الكندي وابنه محمد، عمر بن سعد بن أبي وقاص، شمر بن ذي الجوشن، حجار بن أبجر العجلي، عمرو بن الحجاج الزبيدي، شبث بن ربعي التميمي، شريح القاضي، عروة بن قيس البجلي.

٤. أما أبرز الشخصيات التي اتخذت جانب العزلة والحياد غير المنصف، هم: أبو سعيد الخدري، عبد الله بن عمر، عبيد الله بن الحر الجعفي، وجملة واسعة من الصحابة والتابعين، وسبب انعزال هؤلاء يعود لإيثارهم الدعة والراحة على الحرب والقتال، أو عدم رغبتهم في نصرة طرف على طرف، أو عدم حصولهم على امتيازات

لدى هذا الطرف او ذاك.

د. تيار الخوارج

لم يبرز الخوارج كتيار جماهيري له ملامحه وقياداته البارزة إلا بعد معركة صفين، حين أصروا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يحاكم معاوية وأصحابه على كتاب الله تعالى بعد رفع المصاحف من قبل جماعة عمرو بن العاص، وبين هذا الموقف مقدار جهلهم وانحطاط فكرهم، وانعدام معرفتهم بحق أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو من أهل بيت رسول الله الأطهار، صنو القرآن وعدله والناطقين عن الله تعالى، وكأن حرب أمير المؤمنين عليه السلام لهؤلاء القاسطين لم يكن عن أساس قرآني متين.

يرى بعض المحققين أن الجذور الفكرية لتيار الخوارج تعود في زمان عمر بن الخطاب الذي انتهج سياسة تشجيع قراءة القرآن دون فهمه أو فقهه إلى جانب ضرب طوق محكم على الحديث الشريف، وهكذا نشأ في العراق تيار عريض من (القراء الجهلة) الذين يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، ولا يفقهون منه أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، وقد امتاز هذا التيار بمجموعة من المميزات الفكرية والنفسية نذكر منها:

١. ولاؤهم الشديد لأبي بكر وعمر، والقول بشرعية خلافتهما، فقد ذكر الذهبي: (أن الخوارج تولت الشيخين، وبرئت من عثمان وعلي. ..)[٨]، وقال بعض الخوارج في معركة النهروان لأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: (لسنا بمتابعيكم ولا راجعين إليكم، أو تأتوا بمثل عمر بن الخطاب)[٩].

٢. الجهل والسطحية في التفكير وانعدام الوعي بالروايات والنصوص الشريفة، مما جعلهم لقمة سائغة لتسويلات الشيطان، وهدفاً لتصويب سهامه، فصاروا يكفرون الناس بظواهر النصوص القرآنية دون النظر في شمولية الدليل دون البحث عن مخصصاته ومقيداته وما ورد فيه من الأثر عن الذين فرض الله طاعتهم، فانتشرت عندهم ظاهرة الاستدلال الفقهي الأعور فأفتوا بتكفير المسلمين وقتلوا الناس على الشبهة والظنة.

٣. تميز تيار الخوارج بالغلظة والجفاء والقسوة، فقد ارتكبوا جرائم بحق الموالين لأهل البيت عليهم السلام، ودبروا مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام، كما قاموا بمحاولة فاشلة لاغتيال الإمام الحسن عليه السلام. وكان للخوارج نشاط فاعل في جيش الإمام الحسن عليه السلام، جمعتهم بالإمام معاداتهم للأمويين، وما تخفي قلوبهم تجاه الإمام الحسن أعظم ! وما إن أعلن الإمام خطوة الصلح مع معاوية حتى أصدروا فتوى التكفير بحق الإمام عليه السلام ونصها (كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله)[١٠]، واتخذوا قراراً بتصفية الإمام فكانت محاولات اغتياله عليه السلام في (مظلم ساباط) في المدائن جزءًا من هذا المخطط■

---

١) فتح الباري/ابن حجر/ج٦ص١٣٢.
٢) مقاتل الطالبيين/لأبي فرج الأصفهاني/ص٤٤.
٣) بحار الأنوار/العلامة المجلسي/ ٤٤\٢٩.
٤) الأخبار الطوال/الدنيوري /ص٢٢٠.
٥) راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦\١٦، مقاتل الطالبيين ٤٤، الاختصاص ٨٢.
٦) الأخبار الطوال ٢٢٠.
٧) راجع: الهداية الكبرى ١٩٢، اليقين لابن طاووس ٢٦، دلائل الإمامة ١٦٦.
٨) تاريخ الإسلام/ الذهبي ٣٣٣\٦.
٩) الأخبار الطوال: ٢٩٧.
١٠) ١٠.م.ن: ٢١٦.

قراءات

قراءة في أسرار الحج

إعداد: الشيخ د. وفقان الكعبي
كلية الفقه/جامعة الكوفة

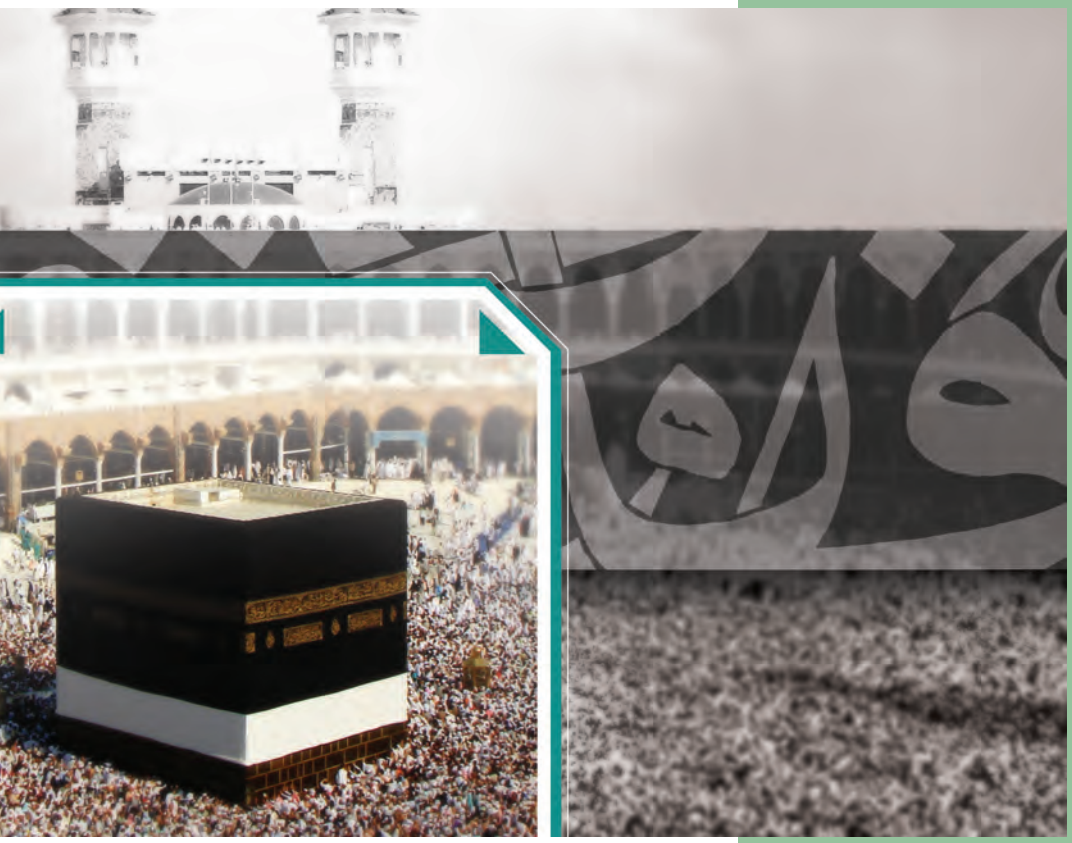

ينابيع عند استقبال موسم الحج العبادي المفروض على كل مسلم أن يهيئ ما يطلب منه، ومن تلك التهيئة الاستعداد الروحي والقلبي لضيافة الله، وأداء العمل والاعتبار الإيماني بهذه المواقف والاتعاظ بها ليوم القيامة.

وفي ضوء ذلك، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب، وفوض أمورك إلى خالقها، وتوكل عليه في جميع حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقول تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك، وقوتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدوًا ووبالًا، فإن من ادعى رضى الله واعتمد على ما سواه، صيَّره عليه وبالًا وعدوًا، ليعلم أنه ليس له قوة ولا حيلة ولا لأحد، إلا بعصمة الله وتوفيقه، فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله، ما يجب عليك من الأدب والاحتمال، والصبر والشكر، والشفقة والسخاوة، وإيثار الزاد على دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع، واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولب بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله سبحانه في دعوتك، متمسكًا بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هربًا من هواك، وتبرأ من حولك وقوتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى، ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجدد عهدك عند الله بوحدانيته، وتقرب إليه واتقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل، واذبح حنجرة الهوى والطمع عنك عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمار، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك.

وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخول الحرم، ودخول البيت متحققًا لتعظيم صاحبه، ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضىً بقسمته وخضوعًا لعزته، ودع ما سواه بطواف الوداع، واصف روحك

وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن بمرأى من الله نقيًا عند المروة،

واستقم على شرط حجتك هذه، ووفاء عهدك الذي عوهدت به مع ربك وأوجبت له إلى يوم القيامة، واعلم أن الله لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى: (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**) (آل عمران:٧ ٩)

ولا شرع نبيه ﷺ سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه، إلّا للاستعداد والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة، وفضل بيان السبق من دخول الجنة أهلها، ودخول النار أهلها، بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها، لأولي الألباب وأولى النهى)[1].

فقد نظم الإمام الأدب السامي في نقاط مهمة يرسمها للحاج وهو منشغل بالعبادة لله تعالى والاستفادة من الشعائر وتطبيقها بالعدل والإحسان في الحياة الإنسانية.

ومن هذه الدروس والعبر التي يغتنمها الفرد لو لاحظ وصية الإمام لأحد رواته وهو الشبلي.

رواية الشبلي

العالم الجليل الأواه السيد عبد الله سبط المحدث الجزائري في شرح النخبة قال: وجدت في عدة مواضع أوثقها بخط بعض المشايخ الذين عاصرناهم مرسلا :

(أنه لما رجع مولانا زين العابدين عليه السلام من الحج استقبله الشبلي، فقال عليه السلام له: حججت يا شبلي ؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام: أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت ؟ قال: نعم.

قال: فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا. قال: فحين تجردت عن مخيط ثيابك، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا. قال: فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب ؟ قال: لا.

قال: فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت، ثم قال: تنظفت، وأحرمت، وعقدت بالحج ؟ قال: نعم، قال: فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج، نويت أنك تنظفت بنورة (بنور) التوبة الخالصة لله تعالى؟.

قال: لا. قال: فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله عز وجل؟

قال: لا. قال: فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟

قال: لا. قال: له عليه السلام: ما تنظفت، ولا أحرمت، ولا عقدت الحج.

ثم قال عليه السلام: أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام ولبَّيت؟ قال: نعم. قال: فحين دخلت الميقات، نويت أنك بنيّة الزيارة؟ قال: لا. قال: فحين صليت الركعتين، نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة وأكبر حسنات العباد؟ قال: لا. قال: فحين لبّيت، نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة وصمت عن كل معصية؟ قال: لا.

قال له عليه السلام: ما دخلت الميقات ولا صليت، ولا لبيت.

ثم قال له: أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت؟ قال: نعم. قال: فحين دخلت الحرم، نويت أنك حرّمت على نفسك كل غِيبة تستغيبها المسلمين من أهل مِلّة

الإسلام؟ قال: لا. قال: فحين وصلت مكة، نويت بقلبك أنك قصدت الله؟.

قال: لا. قال عليه السلام: فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت.

ثم قال: طِفتَ بالبيت، ومسست الأركان، وسعيتَ؟ قال: نعم. قال عليه السلام: فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله، وعَرَفَ منك ذلك علّام الغيوب؟

قال: لا. قال: فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان، ولا سعيت.

ثم قال له: صافحت الحجر، ووقفت بمقام إبراهيم عليه السلام وصليت به ركعتين ؟ قال: نعم، فصاح عليه السلام صيحة كاد يفارق الدنيا ثم قال: آه آه، ثم قال عليه السلام من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى فانظر يا مسكين، لا تضيع أجر ما عظم حرمته، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام نظير أهل الآثام. ثم قال عليه السلام: نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام: أنك وقفت على كل طاعة، وتخلفت عن كل معصية؟ قال: لا. قال: فحين صليت فيه ركعتين، نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم عليه السلام، وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟.

قال: لا. قال له: فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام.

قال عليه السلام له: أشرفت على بئر زمزم، وشربت من مائها ؟ قال: نعم. قال: نويت أنك أشرفت على الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية؟

قال: لا. قال عليه السلام: فما أشرفت عليها، ولا شربت من مائها.

ثم قال له عليه السلام: أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وترددت بينهما؟ قال: نعم. قال له: نويت أنك بين الرجاء والخوف؟.

قال: لا. قال: فما سعيت، ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة.

ثم قال: أخرجت إلى منى؟ قال: نعم. قال: نويت أنك آمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟.

قال: لا. قال: فما خرجت إلى منى.

(ثم) قال له: أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت وادي نمرة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات؟ قال: نعم. قال: هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه أمر المعارف والعلوم وعرفت قبض الله على صحيفتك واطلاعه على سريرتك وقلبك ؟ قال: لا. قال: نويت بطلوعك جبل الرحمة، إن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة ويتولى كل مسلم ومسلمة؟ قال: لا. قال: فنويت عند نمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجر؟ قال: لا. قال: فعندما وقفت عند العلم والنمرات، نويت أنها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة بأمر السماوات؟. قال: لا.

قال: فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة، ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات.

ثم قال: مررت بين العلمين، وصليت قبل مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلفة، ولقطت منها الحصى ومررت بالمشعر الحرام ؟. قال: نعم. قال: فحين صليت ركعتين، نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر، تنفي كل عسر، وتيسر كل يسر؟ قال، لا. قال: فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنهما يمينًا وشمالًا نويت أن لا تعدل عن دين الحق يمينًا وشمالًا لا بقلبك، ولا بلسانك، ولا بجوارحك؟ قال: لا، قال:

فعندما مشيت بمزدلفة، ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل، وثبت كل علم وعمل؟.

قال: لا. قال: فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل؟.

قال: لا. قال: فما مررت بالعلمين، ولا صليت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام.

ثم قال له: وصلت منى ورميت الجمرة، وحلقت رأسك، وذبحت هديك وصليت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكة، وطفت طواف الإفاضة؟. قال: نعم. قال فنويت عندما وصلت منى، ورميت الجمار، أنك بلغت إلى مطلبك، وقد قضى ربك لك كل حاجتك؟. قال: لا. قال: فعندما رميت الجمار، نويت أنك رميت عدوك إبليس وغضبته بتمام حجك النفيس ؟ قال: لا. قال: فعندما حلقت رأسك، نويت أنك تطهرت من الأدناس ومن تبعة بني آدم وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟. قال: لا. قال: فعندما صليت في مسجد الخيف، نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبك، ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى؟. قال: لا. قال: فعندما ذبحت هديك، نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، وأنك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحان قلبه، وحاجه (وأحييت) سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه؟. قال: لا. قال: فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة، نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوده، وأديت فرائضه، وتقربت إلى الله تعالى؟. قال: لا.

قال له زين العابدين عليه السلام: فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا أديت (ذبحت) نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت فإنك لم تحج. فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه، وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين)[٢].

فينبغي للحاج التأمل بهذه الموعظة وهو يقف بتلك المشاعر ويتأمل عمله وموقفه الحياتي، وما يؤديه من تلك الواجبات والأحكام وهذه تكفي لتنبيه المؤمن والتفاته لما يمتثله من الواجبات والمستحبات والتروك في إحرامه■

---

١) مصباح الشريعة: ١٤٢، ٤٨ باختلاف في الألفاظ، مستدرك الوسائل: ١٧٢/١٠.

٢) مستدرك الوسائل: ١٦٦/١٠-١٧٢، جامع أحاديث الشيعة: ٤٩٥/١٢-٤٩٨.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

عنوان صحيفة المؤمن : حُبُّ علي بن أبي طالب، مَنْ سَرَّهُ أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربى فليوال عليا من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي رزقوا فهمًا وعلمًا ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين منهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي.

(مناقب آل آبي طالب / ابن شهرآشوب ج١ ص٢٥١)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : * (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)

* (العلماء ورثة الأنبياء)

* (.... وعليك بتعظيم الفقهاء وتكريم العلماء، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أكرم فقيهًا مسلمًا لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عنه راض، ومن أهان فقيهًا مسلمًا لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان، وجعل النظر إلى وجه العلماء عبادة والنظر إلى باب العالم عبادة ومجالسة العلماء عبادة). **(من وصية العلامة الحلي/ إرشاد الأذهان ج١)**

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(....كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَه وحَرَامَه، وفَرَائِضَه وفَضَائِلَه ونَاسِخَه ومَنْسُوخَه، ورُخَصَه وعَزَائِمَه وخَاصَّه وعَامَّه، وعِبَرَه وأَمْثَالَه ومُرْسَلَه ومَحْدُودَه، ومُحْكَمَه ومُتَشَابِهَه مُفَسِّراً مُجْمَلَه ومُبَيِّناً غَوَامِضَه، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِه ومُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِه، وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُه، ومَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُه، وواجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُه، ومُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُه، وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِه وزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِه، ومُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِه مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْه نِيرَانَه، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَه غُفْرَانَه، وبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاه مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاه).(نهج البلاغة ج١)

آمن الرسول

قبسات من حجة الوداع (٦٣٢م -١٠هـ)

الشيخ حميد البغدادي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع بعد أن من الله سبحانه وتعالى على المسلمين بفتح مكة، دخل الناس في دين الله أفواجاً، واستمر إعلان إسلام القبائل بوفودها على رسول الله ﷺ، وأمست شبه الجزيرة العربية تؤمن بالدين الحنيف.

حجة الوداع

حجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي أدّاها رسول اللهﷺ بعد الهجرة، وفيها علّم المسلمين أحكام الحج ومناسكه.

ـ عن الامام جعفر الصادقعليه السلام قال: (لم يحج النبي ﷺ بعد قدومه المدينة إلا

واحدة وقد حج بمكة مع قومه حجات)[١].

وتتميز حجة الوداع بأهمية بالغة ففيها وضّح ﷺ أحكام الحج، كما تحظى بأهمية أخرى لا تقل أهمية عن ذلك وهي إعلان الرسول الأعظم ﷺ عن ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بعد اختتام هذه الحجة عند عودته، في غدير خم (موقع قرب الجحفة)، بأمر الله سبحانه وتعالى وأخذ البيعة من الناس، وهي الحادثة المشهورة والمسلمة بين المسلمين ولذا نقل الشيخ المفيد حجة الوداع في باب فضائل الإمام عليّ عليه السلام[٢].

العمرة المفردة

وأما بالنسبة للعمرة فقد اعتمر الرسول ﷺ عدة مرات:

١ـ عمرة الحديبيّة: في السنة السادسة للهجرة، وفيها حال مشركو مكة دون إتمام العمرة. والرسول الأعظم ﷺ أحلّ من إحرامه في محل الحديبيّة ومسجد الرضوان، ثم أعقب ذلك (صلح الحديبية) مع المشركين، و(بيعة الرضوان) مع أصحابه.

٢ـ عمرة القضاء: في السنة السابعة للهجرة، وفيها اعتمر الرسول استناداً إلى صلح الحديبية لقضاء العمرة التي لم تتم، ولذلك سميت بعمرة القضاء.

٣ـ عمرة الفتح: في سنة فتح مكة، أي السنة الثامنة للهجرة، وفيها أحرم الرسول من (الجِعرّانة) (منطقة خارج مكة منزل بين الطائف ومكة وهى إلى مكة أقرب، نزله النبي ﷺ وقسم به غنائم حنين وله فيه مسجد) ولذلك تسمّى أحياناً بعمرة الجعرانة.

ـ عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر مفترقات: عمرة في ذي القعدة أَهَلّ من عسفان وهي عمرة الحديبية، وعمرة أَهَلّ من الجحفة وهي عمرة القضاء، وعمرة أَهَلّ من الجعرانة بعد ما رجع من الطائف من غزوة حنين[٣].

موسم الحج

ـ عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله عزوجل عليه: **(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)** (الحج: ٢٧) فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله ﷺ يحج في عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب واجتمعوا لحج رسول الله ﷺ وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه أو يصنع شيئا فيصنعونه. ..)[٤].

جاء في السيرة الحلبيّة: (... كان معه جموع لا يعلمها إلاّ الله تعالى. قيل: كانوا أربعين ألفاً. وقيل: كانوا سبعين ألفاً. وقيل: كانوا تسعين ألفاً. وقيل: كانوا مائة ألف وأربعة عشر ألفاً. وقيل: وعشرين ألفاً. وقيل: كانوا أكثر من ذلك)[٥].

الخروج من المدينة المنورة

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة في يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة بعد الظهر، ومعه من المسلمين ما لا يقل عن تسعين ألفا ووافاه في الطريق خلق لا يحصي عددهم، حتى بلغ ذي الحليفة، فاغتسل لإحرامه، ولبس إزاره ورداءه، وقلد بدنه، ثم أهل بالحج والعمرة وقرن بينهما، وواصل السير فركب القَصْوَاءَ، فأهَلَّ أيضاً، ثم أهَلَّ لما استقلت به على

البَيْدَاء وهو يلبي ويقول: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)

وكان معه صلى الله عليه وآله في هذا السفر سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأمهات المؤمنين كلّهن[٦].

قال جابر رضي الله عنه: فلما استوت به ناقته في البيداء، نظرت مد البصر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك.

أسماء هذه الحجة

قيل لهذه الحجّة: حِجَّةُ الوَدَاع، وحِجَّةُ البَلاَغ، وَحِجَّةُ الإسلام[٧] وحِجَّةُ التَّمام، وَحِجَّةُ الكَمَال[٨].

أمّا حِجَّةُ الوَدَاع فلأنه صلى الله عليه وآله ودّع المسلمين في خطبه في هذه الحجة. وأمّا حِجَّة البَلاَغ فلقوله صلى الله عليه وآله في خطبه التي كان يلقيها على المسلمين ويستشهد الله عليها. اللَهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟! وهناك رأي يقول يمكن ان يكون السبب قوله تعالى: (يا أيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)[٩] وأمّا حِجَّةُ الإسلام فلتبيانه صلى الله عليه وآله فيها أحكام الحجّ. وأمّا حِجَّة التَّمام والإكمال فلنزول الآية التي تصرّح بإكمال الدين وإتمام النعمة بعد خطبته صلى الله عليه وآله يوم الغدير[١٠].

عمرة التمتع

فلمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله (بِسَرِف) على بعد ستّة أميال عن مكّة أمر الناس أن يحلّوا بعمرة أي أن يحوّلوا نيّتهم عن الحجّ إلى العمرة (ويلبّوا بنيّة العمرة؛ ويعتمروا إذا دخلوا مكّة إلاّ من ساق الهدي، فإنّهم يظلّون على نيّة الحجّ، ليوصلوا هَدْيهم إلى محلّه بمنى. وينحرونه هناك، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد ساق الهدي معه[١١].

الوصول إلى مكة المكرمة وأعمال العمرة

دخل مكة نهاراً من أعلاها من ثنية كداء. ثم سار صلى الله عليه وآله حتى دخل المسجد الحرام من باب بني شيبة فلما رأى البيت رفع يديه وقال: (اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا ومهابة وبرا).

عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (... فطاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ثم عاد إلى الحجر فاستلمه وقد كان استلمه في أول طوافه ثم قال: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ)** فأبدأ بما بدأ الله تعالى به وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شئ صنعه المشركون فأنزل الله عزوجل: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)** (البقرة: ١٥٨) ثم أتى الصفا فصعد عليه واستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة مترسلا، ثم انحدر إلى المروة فوقف عليها كما وقف على الصفا ثم انحدر وعاد إلى الصفا فوقف عليها ثم انحدر إلى المروة حتى فرغ من سعيه...)[١٢].

وأقام النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه بمكة أربعة أيام من يوم الأحد إلى يوم الأربعاء فنزل بأعلى مكة عند الحَجُون، وأقام هناك، ولم يعد إلى الطواف غير طواف الحج.

الإمام علي عليه السلام قادما من اليمن

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (... وقدم علي عليه السلام من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة فدخل على فاطمة عليها السلام وهي قد أحلت فوجد ريحا طيبة ووجد عليها ثيابا مصبوغة فقال: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت أمرنا بهذا

رسول اللهﷺ فخرج علي عليه السلام إلى رسول اللهﷺ مستفتيا، فقال: يا رسول الله إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة؟ فقال رسول اللهﷺ: أنا أمرت الناس بذلك، فأنت يا علي بما أهللت؟ قال: يا رسول الله أهلالا كإهلال النبي، فقال له رسول الله ﷺ: قر على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي...)[١٣].

المسير إلى منى

....فلما كان يوم التروية ـ ٨ ذي الحجة، وكان يوم الخميس ـ وهو قول الله عز وجل الذي أنزل على نبيه ﷺ: (**فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**) (آل عمران: ٩٥)، فخرج النبيﷺ وأصحابه مهلين بالحج حتى أتى منى...)

نحو عرفات

وأخذ طريقه نحو عرفات... فوقف ووقف معه الناس حتى وقع القرص قرص الشمس ثم أفاض الى المزدلفة.

المشعر الحرام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (... حتى انتهى إلى المزدلفة وهو المشعر الحرام فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثم أقام حتى صلى فيها الفجر. ..وأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فلما أضاء له النهار أفاض. ..)[١٤].

منى

عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (...حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة [الجمرة الكبرى]....فنحر رسول الله ﷺ ستة وستين ونحر علي عليه السلام أربعة وثلاثين بدنة..

فلما أكملﷺ نحر الهدي استدعى الحلاق فحلق رأسه، وقسم شعره بين من حوله من الناس.

أعمال مكة وبقية أعمال منى

ثم أفاض رسول الله ﷺ إلى مكة راكباً، وطاف بالبيت طواف الإفاضة، ثم رجع إلى منى في نفس اليوم وأقام أيام التشريق بمنى، فبات بها، فلما أصبح انتظر زوال الشمس، فلما زالت ودخل وقت الظهر أتى الجمرات، فبدأ بالجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة، يرمي كل جمرة بسبع حصيات، ويكبر مع كل حصاة، وفعل ذلك في بقية أيام التشريق، وأقام النبي ﷺ أيام التشريق بمنى يؤدي المناسك، ويعلم الشرائع.

العودة إلى المدينة المنورة

وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة نفر النبيﷺ من منى ـ النَّفْر الثاني، وأقام هناك بقية يومه وليلته، وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ونام نومة خفيفة، وبعدها توجه راجعاً إلى المدينة.

خطبه ﷺ في حجته

الظاهر من سياق أحاديث حجته ﷺ - أنه- عليه الصلاة والسلام- خطب بالإضافة إلى خطبة يوم عرفة:

خطبة يوم النحر بمنى.

خطبة في أوسط أيام التشريق بمنى.

خطبة الرسولﷺ في يوم عرفة (خطبة الوداع)

وفيها خطبﷺ خطبته الخالدة المشهورة بخطبة الوداع. ابتدأها بعد الثناء على الله تعالى بقوله: (أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.. . ثم قال: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا،..

ثم قال: أيها الناس إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، فلا ترجعُنَّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت، اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد منكم الغائب)[١٥].

خطبة غدير خم

ولما رجع بمن معه من تلك الألوف وبلغوا وادي (خم) وهو واد شديد الحر هبط عليه الروح الأمين بآيات التبليغ يقول الحق سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة: ٦٧).

فنزل ﷺ بغدير خم وليس بالموضع اللائق للنزول، وكان يوما هاجرا جدا يستظل الناس فيه بأرديتهم ودوابهم،. .وصنع له منبر من أقتاب الإبل، وكان عدد الحاضرين في ذلك اليوم مائة وعشرين ألف نسمة، وقد علم الجميع بأن هذا آخر اجتماع لهم من هذا القبيل، والنبي ﷺ يوشك أن يدعى إلى ربه، فأمر رسول الله أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، فلما اجتمعوا صعد المنبر وأخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون فقال:

يا أيها الناس. .إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق، وأن الموت حق وأن البعث بعد الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم أشهد.

فقال: أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه. ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

فلما انتهى ﷺ من خطبته نزلت الآية: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)** فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي.

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام، وممن هنأه في مقدم الصحابة أزواج رسول الله ﷺ والشيخان أبو بكر وعمر[١٦]، وقال حسان بن ثابت أبياته المعروفة:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم وأسمع بالرسول مناديا
يقول ومن مولاكم ووليكم
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا
ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني
رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه
فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه
وكن للذي عادى عليا معاديا[١٧]

١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ص٢٤٤، ح ١٦٨٧١.
٢) الإرشاد، الشيخ المفيدج١: ١٧١، الطبعة الثانية.
٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ص٢٥١، ح ٦٨٨٠ - ١٠.
٤) الكافي،الشيخ الكليني، ج ص٢٤٥، ح٤٦٨٧٤.
٥) السيرة الحلبية، مصر، ١٣٥٣ ج٣، ص٢٨٩.
٦) راجع حبيب السِّيَر للمؤرّخ خواند مير غياث الدين الحسيني، ج ١، ص ٤٠٩.
٧) السيرة الحلبية، مصر، ١٣٥٣ ج ٣، ص ٢٨٨.
٨) السيرة، للسيّد أحمد زَيْنِي دَحْلان، ج ٣، ص ١ في هامش السيرة الحلبيّة.
٩) راجع: الغدير، العلاّمة الاميني، ج١، هامش ص٩.
١٠) المصدر السابق.
١١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٢، ص ٣٠٢؛ و سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ١٠٢٠. واللفظ للأول.
١٢) الكافي،الشيخ الكليني، ج ص٢٤٥، ح ٤٦٨٧٤.
١٣) ن.م.
١٤) ن.م.
١٥) تحف العقول/ابن شعبة الحراني/ص٣٤.
١٦) خلاصة عبقات الانوار/ حامد النقوي/ ج٨ ص١٩٩.
١٧) الاقتصاد/الشيخ الطوسي/ص٢٢١.

آمن الرسول

رأس الحكمة مخافة اللّه

السيد أسعد القاضي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

ينتقل الإنسان من عالم إلى عالم، ومن نشأة إلى أخرى، ليمرّ بهذ النشأة.. بالحياة الدنيا، وليكون ـ من بين المخلوقات كلها ـ محطّاً للتكاليف الإلهيّة، بعد أن أودع اللّه تعالى فيه قوّة التمييز بين الأشياء، بين الحقّ والباطل، وبين الصواب والخطأ، فعند ذلك أمره بأشياء ونهاه عن أشياء أخرى، وابتلاه بالمغريات والفتن، وحذّره مغبّة مخالفة تكاليفه وارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب.

القرآن الكريم سيد الكلام وأحد الثقلين الذين خلّفهما النبي صلى الله عليه وآله في أمته، حذّر في كثير من آياته الشريفة من مخالفة

الأوامر الإلهية، والانحراف عن الخط الذي رسمته الشريعة المقدّسة، مثل قوله تعالى: (**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) (النور:٦٣)، مضافاً إلى العدد الكبير من آيات العذاب والنار، والتي تتحدّث عن ما قد أعدّه الله تعالى للعاصين الجانين على أنفسهم.

ويأتي الثقل الثاني، وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فلم يتركوا الناس من دون تحذير وتذكير وموعظة، بل كانوا عليهم السلام يغتنمون الفرص من أجل وعظ الناس.. كل الناس، وإن كانوا غير معتقدين بإمامتهم، كل هذا حرصاً منهم على الأمة، مهما كانت هوّيتها، ومهما كان انتماؤها.

وها نحن على أعتاب موعظة للإمام الحسين عليه السلام، فقد روي[1] أنّه جاءه رجل وقال: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصية! فعظني بموعظة فقال عليه السلام: إفْعَلْ خَمْسَةَ أَشْياءَ وَاذْنِبْ ما شِئْتَ.

يذكر له الإمام عليه السلام خمسة أشياء إن هو فعلها فمسموح له أن يعصي الله تعالى.

ولو نظرنا في هذه الأمور الخمسة لوجدناها تحوم حول تذكير الإنسان بأنه تحت سلطان الله وفي قبضته وتحت ولايته، فإن استطاع أن يخرج عن سلطان الله سبحانه وولايته فله أن يعصيه ويخالفه.

ثم يبدأ الإمام عليه السلام بذكر أول الأمور الخمسة، فيقول: (لا تَأْكُلْ رِزْقَ اللهِ وَاذْنِبْ ما شِئْتَ!)، فبما أن الله تعالى هو الذي يرزق عباده ويطعمهم ويسقيهم، فيلزم عليهم أن يطيعوه، ولا يحقّ لهم معصيته، إلا إذا استغنوا عن رزقه، وأنّى للإنسان أن يستغني عن رزق الله سبحانه وهباته وعطاياه، يقول سبحانه: (**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**) (الذاريات:٥٨)، وقال: (**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) (النمل: ٦٤)، وقال جلّ شأنه: (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ .... فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**) (يونس:٣١)، وفي هذه الآية الأخيرة إشارة إلى ما قاله الإمام الحسين عليه السلام، فإذا كان الله تعالى هو الرازق وهو واهب السمع والبصر، ولو شاء لسلبهما من الإنسان، بل هو واهب كل خير، فينبغي أن نخاف منه ونطيعه ولا نعصيه.

ثم ينتقل الإمام الحسين عليه السلام إلى الأمر الثاني من الأمور التي إن فعلها الإنسان كان له أن يعصي الله ويتعدّى حدوده، فقال عليه السلام: (اخْرُجْ مِنْ وِلايَةِ اللهِ وَاذْنِبْ ما شِئْتَ!).

الله سبحانه وتعالى خلقنا وأنشأنا من العدم، ويسّر لنا سُبُل الحياة، وأعطانا من كل شيء، وسخر لنا كلّ شيء، حيث يقول تعالى: (**اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**) (ابراهيم:٣٢-٣٤).

سخر الله تعالى لنا السماوات والأرض والشمس والقمر وذلّل لنا الدوابّ.. يسقي الزرع بماء يُنزله من السماء، كي تخرج الثمار ويأكل منها الإنسان.. سخر السفن لتسير في البحر، وينتقل الإنسان عبر المحيطات من أقصى نقطة في الكرة الأرضية إلى أقصى نقطة.. سخّر الدوابّ

ليركبها الإنسان ويتنقّل من مكان إلى مكان، ومن بلدة إلى بلدة، لئلا يُتعبه المشي على الأقدام، وإذا جاع ذبحها وأكل من لحمها.

فنحن نعيش في ولاية الله سبحانه وتعالى، وفي ظلّ نعمه التي لا يعدّها العادّون، فالذي يريد أن يعصي الله تعالى لابد أن يخرج من ولايته أوّلاً، ويستغني عن نعمه، ثم يعصيه.

وأما الأمر الثالث فهو: (اطْلُبْ مَوْضعاً لا يَراكَ اللهُ وَاذْنِبْ ما شِئْتَ)، ذلك لأنّ الله سبحانه الذي خلق كلّ شيء وخلق الإنسان، هو مطّلع على كل ما يجري في الكون، ومنها أفعال العباد، صغيرها وكبيرها، يقول تعالى: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) (ق:١٦)، (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) (ق:١٨)، (**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**) (الانفطار: ١٠-١١-١٢). ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال: (اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ..)[٢].

فالله تعالى مطّلع على أعمالنا وأفعالنا، سواء عملنا خيراً أو شرّاً، وإذا رمنا معصيته لابدّ أن نتستّر عنه أولاً ثم نعصيه، لا أن نتستر عن المخلوقين فقط، يقول عليه السلام: (اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ)[٣].

معنى هذا الكلام هو أن الحاكم إذا ترافع إليه خصمان يطلب شهوداً من هذا الخصم ومن ذاك، فإذا كان الحاكم هو قد حضر الأمر المتخاصم عليه وشهده، ما احتاج إلى شاهد.

كذلك الله سبحانه وتعالى هو مطّلع على أفعال العباد، من دون توسّط شهود، فينبغي للإنسان أن يخاف منه تعالى عندما يكون وحده، كما يخاف منه عندما يكون مع أحد من الخلق.

ثم ينتقل الإمام الحسين عليه السلام إلى الأمر الرابع، وهو: (إذا جاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَكَ فَادْفَعْهُ عَنْ نَفْسِكَ وَاذْنِبْ ما شِئْتَ)، فمهما كان الإنسان متحصّناً ويعيش من خلف سواتر وحواجز وحراسة مشدّدة، إذا انتهت المدة التي قدّرها الله لحياته في هذه الدار الدنيا، أرسل إليه ملك الموت ليقبض روحه، فيأتيه ملك الموت بأمر الله تعالى، من دون أن يستأذن منه، أو يخيّره بين البقاء في الدنيا والانتقال إلى الدار الآخرة.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف كيفية مجيء ملك الموت للإنسان بوصف رائع، حيث يقول: (هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا)[٤].

الإمام الصادق عليه السلام يحكي لنا دخول ملك الموت على نبي الله سليمان بن داود عليه السلام، إذ(قال ـ سليمان عليه السلام ـ ذات يوم لأصحابه ان الله تبارك وتعالى: قد وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي، سخر لي الريح والانس الجن والطير والوحوش، وعلمني منطق الطير، وآتاني من كل شئ، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تم سروري يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فاصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي فلا تأذنوا لاحد علي لئلا يرد علي ما ينغص علي يومي فقالوا: نعم، فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى

أعلى موضع من قصره ووقف متكيا على عصاه ينظر إلى ممالكه مسرورا بما أوتي، فرحا بما أعطي إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلما أبصره سليمان قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم: وبإذن من دخلت ؟ قال الشاب: أدخلني هذا القصر ربه، وباذنه دخلت فقال: ربه أحق به مني فمن أنت؟ قال أنا ملك الموت قال: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: امض لما أمرت به فهذا يوم سروري، وأبى الله عز وجل أن يكون لي سرور دون لقائه. فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه ، فبقي سليمان متكيا على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدرون انه حي فافتتنوا فيه واختلفوا..... فلما اختلفوا. بعث الله عز وجل الأرضة فدبت في عصاة سليمان فلما أكلت جوفها انكسرت العصاة وخر سليمان من قصره على وجهه،. .. ذلك قول الله عز وجل: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)[٥].

وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سُخِّرَ لَه مُلْكُ الْجِنِّ والإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَه واسْتَكْمَلَ مُدَّتَه رَمَتْه قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْه خَالِيَةً وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ووَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ)[٦].

ثم يصل عليه السلام إلى الفقرة الخامسة والأخيرة: (إذا أدْخَلَكَ مالِكٌ في النّارِ فَلا تَدْخُلْ في النّارِ وَاذْنَبْ ما شِئْتَ)، فإن الله سبحانه أعدّ ناراً سجّرها لغضبه من العصاة المتمرّدين، يقول تعالى: **(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا)** (النبأ: من ٢١ـ ٣٠).

وختاماً نقول: يذكر سيد الشهداء عليه السلام أن الإنسان إذا أراد أن يذنب فعليه أولاً أن لا يأكل من رزق الله تعالى، ويخرج من ولايته، ويطلب موضعاً لا يراه الله فيه، ويمتنع من تسليم روحه إلى ملك الموت، ويمتنع من دخول النار إذا أدخل فيها.

وبما أنه ليس بوسعه أن يقوم بهذه الأمور، بل ولا بواحدة منها، فعليه أن يتقّي الله ويخافه، ويتجنّب معصيته، وليعلم أن: (رأس الحكمة مخافة الله عز وجل)[٧]■

---

١) بحار الأنوار ٧٨ : ١٢٦ ح٧، جامع الأخبار:٣٥٩ ح ١٠٠١ عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

٢) نهج البلاغة/الإمام علي عليه السلام/ تحقيق صبحي الصالح/ص٢٢٢.

٣) م.ن/ص٥٣٢.

٤) م.ن/ص١٦٧.

٥) علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج١ص٧٣.

٦) نهج البلاغة/الإمام علي عليه السلام/ تحقيق صبحي الصالح/ص٢٦٢.

٧) من لا يحضره الفقيه/الشيخ الصدوق/ ج٤ ص٣٧٦.

آمن الرسول

ومضات من مناجاة التائبين

حسين جودي كاظم الجبوري
سكرتير التحرير

ينابيع يوجد بين المناجاة الخمسة عشر للإمام زين العابدين نوع من الارتباط المعنوي أو مراتب من المعرفة تختص كل واحدة فيها لتعطي علاجاً أو تفتح باباً معنوياً فيه نوع من المعرفة والسلوك إلى الله تعالى.

فنرى أول شيء مناجاة التائبين وذكر التوبة وضرورة الارتباط بالله تعالى وعدم الوقوع بالمعاصي وسوء الأعمال، وما بعدها شكوى العبد إلى ربه من أسباب المعاصي وهي النفس الأمارة بالسوء والقلب المضطرب والشيطان وحب الدنيا وهي مناجاة الشاكين، ومن ثم مناجاة الخائفين والراجين وهكذا صعوداً في الأحوال المعنوية للعبودية من الرغبة والطاعة والمحبة والتوسل حتى نصل إلى مناجاة العارفين والذاكرين والزاهدين، ولو جمعنا هذه العناوين للمناجاة لحصلنا

على: (التوبة، الشكوى، الخوف، الرجاء، الرغبة، الشكر، الطاعة، المريد، المحبة، التوسل، الافتقار، المعرفة، الذكر، الاعتصام، الزهد)، فنرى الزهد والاعتصام هما من رشحات المعرفة، والمعرفة بدورها هي نتاج شعور المرء بفقره وعجزه فهو بحاجة إلى من يرشده والممهد لهذا الطريق هو التوسل والمحبة لله تعالى، ليعطيه حقيقة أمره فيكون مريداً طائعاً شاكراً، وقلبه خرج بالتوبة، وكان ما بين الخوف والرجاء.

أما مناجاة التائبين ففيها من آداب العبودية بين العبد وربه، وكيف يكون العبد وما هي أوصافه والمعبود وألطافه وأفضاله وإحسانه على العبد لحاجة العبد إلى ذلك. أول مسألة تؤكد عليها المناجاة تحقيق الرابطة بين العبد وربه من خلال الخضوع والإنابة إليه تعالى فنرى في الجمل الأولى وصف حال العبد مما ارتكبه من عظيم الجناية وأمات قلبه بسبب ذلك والتوبة حياة القلوب فلا طريق إلا بالإنابة والخضوع إليه للخروج من حالة البعد إلى القرب الإلهي، وإن الراحل إليه لقريب المسافة سوى أن الأعمال تحجبهم عن ذلك. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في تلك المناجاة: (إلهي أَلْبَسَتْنِي الخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتِي).

وقوله عليه السلام: (أَلْبَسَتْنِي) أصل ألبس من لبس، ولبس الثوب استتر به وألبسه غيره وأصل اللبس هو ستر الشيء[1]، وفي هذا المقطع من المناجاة يوجد توظيف لمفاهيم إسلامية أخلاقية وجعلها في متناول الحس بواسطة الاستعارة والتي لها صور مختلفة منها: أن يؤخذ الشيء من الأشياء المحسوسة المشاهدة للمعاني المعقولة كاستعارة النور مثلاً للحجة الكاشفة عن الحق (**وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ**...)، ومنها أن يؤخذ الشيء من الأشياء المحسوسة لمثلها كما في حديث (إياكم وخضراء الدمن) فقد استعيرت خضراء الدمن للمرأة الجميلة في منبت السوء، بجامع حسن الظاهر في رأي العين مع فساد الباطن، وثالثها أن يؤخذ الشبه من المعقول للمعقول أي من المفاهيم والمعاني إلى المعاني غير المحسوسة كاستعارة الموت للجهل[2]. وهنا لبس الثوب أمر محسوس استعير إلى الخطايا والجامع ووجه الشبه بينهما هو الستر والإحاطة بالشيء فيقع الإنسان في المعاصي وتجعله في مقام العبد والهوان والذلة ولعل قوله عليه السلام: (وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتِي) قرينة أيضاً على تلك الحالة التي يكون فيها الإنسان محاطاً ومستورًا فهو بعيد لأن الجلل هو ما يغطى به الصحف ثم سميت الصحف مجلة[3].

وعندما يقع الإنسان فريسة الخطايا والذنوب والبعد من الرحمة الإلهية بموت قلبه فيقول عليه السلام: (وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي) فهنا إشارة إلى أثر الأمراض النفسية التي هي من وراء الأخطاء المرتكبة وما تستلزمه من موت روحي وذلة ومسكنة، إن البديل لهذا اللباس وهذا الثوب الذي جلب للإنسان الذلة والهوان، لأن من ورائه رذائل النفس، هو لباس التقوى، ونحن في عالم الدنيا نهتم بستر البدن الظاهري وأحياناً نبالغ فيه وفي تجميله لأجل تغطية سوأته، علينا أن نبحث إضافة إلى ذلك عن ما يغطي سوأة الباطن بتقوى الله تعالى والتي هي أهم في المقام لو تنبه الإنسان إليها لأنها سوف تحشر معه

وبها يتحدد نوع مصيره في الآخرة ألا وهي الملكات الباطنية، فقال تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**) (الأعراف: ٢٦).

يقول السيد العلامة الطباطبائي في تفسيره: (اللباس كل ما يصلح للبس وستر البدن وغيره... والريش ما فيه الجمال مأخوذ من ريش الطائر لما فيه من أنواع الجمال والزينة وربما يطلق على أثاث البيت ومتاعه... وتوصيف اللباس بقوله: (يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ) للدلالة على أن المراد باللباس ما ترفع به حاجة الإنسان التي أخطرته إلى اتخاذ اللباس وهي موارة سوأته التي يسوؤه انكشافها وأما الريش فإنما يتخذه لجمال زائد على أصل الحاجة)[٤] ويقول أيضاً في قوله تعالى: (**وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ**)،(انتقل سبحانه من ذكر لباس الظاهر الذي يواري سوءات الإنسان... إلى لباس الباطن الذي يواري السوءات الباطنية التي يسوء الإنسان ظهورها وهي رذائل المعاصي من الشرك وغيره، وهذا اللباس هو التقوى التي أمر بها الله تعالى، وذلك أن الذي يصيب الإنسان من ألم المساءة وذلة الهوان من ظهور سوأته روحيٌّ من سنخ واحد في السوأتين، إلا أن ألم ظهور السوءات الباطنية أشد وأمر وأبقى فالمحاسب هو الله، والتبعة شقوة لازمة، ونار تطلع على الأفئدة، ولذلك كان لباس التقوى خيراً من لباس الظاهر)[٥].

إن هذه المناجاة في أسلوبها وبلاغتها في مفتتحها تشير إلى قضية وترشدنا إلى معالجة النفس الإنسانية والتوجه إليه تعالى والابتعاد عن الرذائل واكتساب الفضيلة وأيضًا ما يترتب على ذلك من الالتفات إلى خطوات تهذيب النفس وكان الأبرز فيها هو أن يعيش حالة التقرب واللجوء إليه تعالى، لا حالة البعد والتباعد عنه تعالى، وقد ورد في مقطع آخر من أدعية الصحيفة السجادية في ذكر التوبة بيان حالة من يقع فريسة الذنوب وكيف تكون حالته: (هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْه أَيْدِي الذُّنُوبِ، وقَادَتْه أَزِمَّةُ الْخَطَايَا، واسْتَحْوَذَ عَلَيْه الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ به تَفْرِيطاً، وتَعَاطَى مَا نَهَيْتَ عَنْه تَغْرِيراً. كَالْجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْه، أَوْ كَالْمُنْكِرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْه)[٦] فتداولته أيدي الذنوب أخذته هذه مرة وهذه مرة، والكلام فيه استعارة كالكناية شبه الذنوب بالقوم بجامع التصرف أي وجه الشبه الجامع بينهما هو التصرف في هذا الإنسان، وأتيت لها الأيدي تخييلاً، أما قوله عليه السلام: قادته أزمة الخطايا: من قاد البعير قوداً أي جره خلفه،والأزمة جمع زمام وهو ما يوضع في أنف البعير من حبل ليقاد به وإضافة (الأزمة) إلى الخطايا كإضافة الأيدي إلى الذنوب، وهو من الاستعارة المكنية كأن كل خطيئة وضعت في أنفه زماما، فهي تقوده بزمامها ويحتمل أن يكون من باب التشبيه، أي قادته الخطايا التي هي في التذليل كالأزمة، واستحوذ عليه الشيطان غلبه واستعماله إلى ما يريده منه واستولى عليه[٧].

إن معرفة النفس وقواها وغرائزها يحتاجها الإنسان المؤمن لكي يتسلح بتلك المعرفة الحقة وهي معرفة النفس ومعرفة الربوبية، وترويض النفس ومواكبة الإرادة الإلهية عبر الأوامر والنواهي التي تؤدي إلى التقوى خير من الوقوع في إرادة الشيطان وغلبة أمره على الإنسان، وترويض النفس هو منعها من الحركات غير المطلوبة، فالإنسان لديه عقل وقوى حيوانية يتحرك

بها في هذه الحياة ويعمّر بها حياته، من خلال شهواته وغضبه فالمطلوب هو الاعتدال في ذلك وحمل النفس ومنعها من الانقياد للقوة الشهوية والغضبية وما يتعلق بهما، وجعلها تسير وفق الشرع الإلهي وردع النفس الناطقة عن المطاوعة لرذائل الأخلاق التي تسببها تلك القوى نتيجة التوجه نحو الدنيا كالحرص في جمع المال وتحصيل الجاه وتوابعهما من حيل ومكر وخديعة وتعصب وغضب وحقد وحسد وفجور وانهماك في الشرور، وجعل الطاعة والعمل ملكة راسخة ثابتة على وجه يوصلانه إلى الكمال الممكن، فالنفس التابعة للقوة الشهوية تدعى البهيمية والتابعة للقوة الغضبية تسمى السبعية والتي تكوّن رذائل الأخلاق لها ملكة يقال لها شيطانية وقد سميت هذه النفس المتصفة بهذه الصفات في القرآن بالنفس الأمّارة، أي الأمارة بالسوء إذا كانت هذا الرذائل ثابتة فيها، أما إذا لم تكن ثابتة أو أنها تميل إلى الشر مرة وأخرى إلى الخير، وإذا مالت إلى الخير ندمت على ميلها إلى الشر ولامت نفسها سميت بالنفس اللوامة، أما النفس التي تنقاد إلى العقل ويكون طلب الخير ملكة لها فإنها تدعى بالنفس المطمئنة[٨] إن الالتجاء إليه تعالى والدخول في عبودية الحق تذكرة المناجاة بعد الاعتراف بالأخطاء وأنه تعالى هو الغافر فيقول الإمام زين العابدين عليه السلام: (وَقَدْ خَضَعْتُ بِالإنابَةِ إلَيْكَ وَعَنَوْتَ بالاسْتكانَة لَدَيْكَ، فَإنْ طَرَدْتَني منْ بابكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ وَإنْ رَدَدْتَني عَنْ جَنابكَ فَبِمَنْ أَعُوذ... الخ).

هذا المقطع ذكرته المناجاة بعد قوله عليه السلام: (وَأَماتَ قَلْبي عَظيمُ جنايَتي فَأَحْيِه بتَوْبَة منْكَ يا أَمَلي وَبُغْيَتي وَيا سُؤْلي وَمُنْيَتي، فَوَعزَّتكَ ما أَجِدُ لذُنُوبي سواكَ غافراً وَلا أَرى لكَسْري غَيْرَكَ جابراً وَقَدْ خَضَعْتُ بالإنابَة إلَيْكَ...) وقد تم ذكر التوبة أولاً ثم ذكر الإنابة وحقيقة التوبة هي الرجوع عن الذنب إلى الله تعالى أي الرجوع إلى عالم الفطرة والروحانية، وحقيقة الإنابة هو رجوع من الفطرة هذه والسفر إلى الله تعالى والهجرة إليه والخروج من بيت النفس، فمنزل التوبة سابق ومقدم على منزل الإنابة[٩].

وإذا كانت الإنابة هي الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه فتتم من خلال أمور هي دوام التوجه إلى ناحية الله تعالى وطلب التقرب منه في باطنه وقوله والأعمال الظاهرة، وذلك بالمواظبة على الطاعات والعبادات المقرونة بنية القربة إلى الله تعالى، وبالجملة هو الالتزام بالأحكام الشرعية تقرباً لله تعالى وطلباً لمرضاته[١٠].

ولعل قوله عليه السلام: (وَقَدْ خَضَعْتُ بِالإنابَة إلَيْكَ) ارتباط مفردة الخضوع مع الإنابة لإظهار مقام العبودية، فالخضوع هو كل ما يظهر على العبد من آثار يجعله في مقام العبودية ومعترفاً بها على أساس معرفته وعقيدته بأن له رباً مالك شؤونه وأمر وجوده وحياته واستمراره، أي معرفة مبدئه ومعاده وتملك أمره في العاجل والآجل، فالعبودية تكون مرتبطة مع الاعتراف بالربوبية ويحصل الخضوع وتظهر آثاره سواء بالقول أو بالفعل وما يكون على الجوارح بدلاً من الوقوع في سوء الأعمال السالفة عندما قادته أزمة الخطايا فيقول عليه السلام: (فَوا أَسَفاهُ منْ خَجْلَتي وَافْتضاحي وَوالَهَفاهُ منْ سُوءِ عَمَلي وَاجْتراحي) وما في دلالة الاجتراح من الإشارة إلى ذلك بعد عطفها على سوء العمل.

ثم يقول عليه السلام: (وَلا تُخْلني في مَشْهَد

القيامَة مِنْ بَرْدِ عَفْوكَ وَغَفْرِكَ وَلا تُعْرِني مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَسَتْرِكَ، إلهي ظَلِّلْ عَلَى ذُنُوبِي غَمامَ رَحْمَتِكَ وَأَرْسِلْ عَلى عُيُوبِي سَحابَ رَأْفَتِكَ، إلهي هَلْ يَرْجِعُ العَبْدُ الآبِقُ إلاّ إلى مَوْلاهُ؟ أَمْ هَلْ يُجيرُهُ مِنْ سَخَطِه أَحَدٌ سِواهُ؟...) ولعل ذكر مشهد القيامة وجميل صنعه تعالى إشارة إلى توجه العبد إلى الربوبية فهو تعالى صاحب الفضل والإحسان وكل جميل منه تعالى.

فالسكون إليه هو الذي يؤدي إلى ذكر القيامة لأنه يمثل مصير العبد لديه تعالى في آخرته، وهنا في هذا المقطع إقرار بالعبودية والتذكير بها عند قوله عليه السلام: (هَلْ يَرْجِعُ العَبْدُ الآبِقُ إلاّ إلى مَوْلاهُ) والآبق هو الهارب، أبق يأبق بكسر الباء وضمها أي هرب[11].

والمناجاة بعد تقرير هذه العلاقة والوصلة بين العبد وربه تشير إلى حالة الندم والاستغفار المطلوبة للعبد وفي المقابل تشير إلى صفاته تعالى من القدرة والعلم والعفو والرأفة، وفي نهاية المناجاة نلاحظ من أدب العبودية والحالات المليئة بالرحمة والعطف والتوسل والتودد والإشارة لقدرة الله تعالى وفضله وإجابته للمضطرين فلعلها تركز على هذا الجانب أي على العبودية وإظهار الفقر والحاجة، يقول السيد علي خان المدني في شرح دعاء الإمام السجاد عليه السلام في التذلل لله عز وجل: (التذلل تكلف الذُل بالضم وهو الصغار والهوان وصيغة التفعل [أي عند قولنا تذلل] للإيذان بالاجتهاد وبذل الطاقة فيه والتذلل لله تعالى عبارة عن كمال الخضوع والتواضع له تعالى وإظهار الذل والافتقار إليه وهو يكون بالجنان كالاعتقاد بأنه أقل عباده وأفقرهم إليه، وبالإركان كإلصاق الخد بالأرض وتعفير الجبين في التراب والرمي بالنظر نحو الأرض وسكون حركات الأطراف، وباللسان كالإقرار والاعتراف بالنطق بما اعتقده من ذل نفسه وافتقاره وعظيم ما اكتسبه من الخطايا والذنوب والتضرع إليه تعالى ومناجاته بالسؤال والدعاء والابتهال إليه في حط ذنوبه وغفران خطاياه كما اشتمل عليه هذا الدعاء الشريف، واعلم أن هذا التذلل لله تعالى هو قوام العبادة والعبودية وقطبهما الذي عليه مدارهما. ومن تأمل في أنواع العبادات المفروضة وأجزائها من الصلاة والصيام والزكاة والحج وجدها موضوعة على المذلة والتواضع والخضوع والاستسلام لعزته تعالى وعظمته وتصور كماله وتذكر وعده ووعيده وأهوال يوم الموقف بين يديه عز وجل فكان التذلل مناط العبادات وبه منال السعادات[12]■

---

١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم الراغب الاصفهاني ص٦١٨.
٢) مصطلحات نقدية محمد عزام ص٣٩.
٣) مفردات ألفاظ القرآن ص١٣٤.
٤) تفسير الميزان ج٨ ص٧٠ بيروت الأولى١٩٩٧.
٥) المصدر السابق ص٧١.
٦) الصحيفة السجادية (دعاء رقم ٣١) ص١٠٢.
٧) انظر رياض السالكين شرح الصحيفة السجادية سيد علي خان المدني ص٧ ٢٨.
٨) أوصاف الأشراف نصير الدين الطوسي ص٣٤.
٩) الأربعون حديثاً السيد الخميني ص٢٥٧ وجامع السعادات ج٢ ص٣١٤.
١٠) انظر أوصاف الأشراف ص٢٩.
١١) مختار الصحاح ص١ (مادة أبق).
١٢) رياض السالكين ص٥٢٢.

من نوادر النحاة

❁ أتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقّه فقال : أصلح الله الأمير، إنّ لي على هذا حقّا قد غلبني عليه ؛ فقال له الآخر: أصلحك الله، إن هذا باعني عنجدا (زبيب) واستنسأته (طلبت تأخيره) حولًا(سنة) وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة (كل شهر) فهو لا يلقاني في لقم (الطريق أو وسطه) إلّا اقتضاني ؛ فقال له الهيثم: أمن بني أميّة أنت؟

قال: لا؛

قال: فمن بني هاشم؟

قال: لا؛

قال: فمن أكفائهم من العرب؟

قال: لا؛

قال: ويلي عليك ! انزع ثيابه يا جلواز (الشرطي)، فلما أرادوا نزع ثيابه..

قال:أصلحك الله، إنّ إزاري مرعبل(ممزّق)؛

قال: دعوه، فلو تُرك الغريم في وقت. .. لتركه في هذا الوقت.

❁ مرَّ أبو علقمة النحوي ببعض الطّرق بالبصرة فهاجت به مُرّة (عصارة المرارة وهي مادة صفراء) فسقط، ووثب عليه قوم فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذّنون في أذنه، فأفلت من أيديهم..

وقال: ما لكم تتكأكؤون (تتجمعون) عليّ كما تتكأكؤون على ذي جِنّة! افرنقعوا (تفرّقوا) عنّي؛ فقال رجل منهم: دعوه فإنّ شيطانه هنديّ، أما تسمعونه يتكلّم بالهنديّة؟

❁ سمع أعربيّ أبا المكنون النحويّ في حلقته وهو يقول في دعاء الاستسقاء:

اللهمّ ربّنا وإلهنا ومولانا، صلّ على محمد نبيّنا؛ اللهمّ ومن أراد بنا سوءًا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد على ترائب الولائد (جمع تريبة وهي موضع القلادة. والولائد: جمع وليدة وهي الصبيّة)، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السّجّيل (حجارة طبخت بنار جهنم)، على هام أصحاب الفيل؛ اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريئًا مريعًا مجلجلًا مسحنفرا هزجًا سحًّا سفوحًا طبقًا غدقًا مثعنجرًا (المجلجل:مصحوبًا بصوت الرعد، والمسحنفر: الكثير الصّبّ الواسع. والهزج: من الهزج وهو صوت الرعد. والطَّبق من المطر: العامّ الواسع. والغدق: المطر الكثير. والمثعنجر: السيل الكثير أو السحاب الممتلىء. الكثير الصّبّ الواسع)؛ فقال الأعرابيّ:يا خليفة نوح، هذا الطوفان وربّ الكعبة، دعني آوي إلى جبل يعصمني من الماء.

(عيون الأخبار / ابن قتيبة الدّينَوَريّ / ج٢ ص١٧٨)

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س هل يجوز أخذ الثمر من الاشجار التي غصونها متدلية في الشارع؟

ج **يجوز للمارة الأكل دون غيرهم.**

س شخص عنده شجرة مثمرة في بيته وكانت بعض أغصانها متدلية في بيت جاره، فهل يجوز لجاره أن يأخذ الثمر منها بدون علم صاحب الشجرة، علماً أنه يأخذ الثمر من الأغصان المتدلية في بيته فقط؟

ج **لا يجوز ذلك إلا برضا مالك الشجرة.**

س كنا نشتغل في شركة في أحد البلدان الإسلامية وكانوا يعطوننا بدلاً للنقل، ولكننا لم نؤجر سيارة وكنا نذهب مشياً لتوفير الأموال، فهل يصح تملكها وأخذها (بدل النقل)؟

ج **نعم يصح.**

س علك الماء.. يصل من بغداد إلى البصرة ينقص من وزنه بفقدانه الماء.. فمثلاً يوزن في بغداد (٢٥ كيلو) ـ يصل إلى البصرة وزنه (٢٣ كيلو) أو أقل، يقوم صاحب المحل بوضعه في خزان ماء لكي لا يفقد من وزنه أكثر.. هل هذا جائز؟

ج **نعم يجوز ذلك إذا لم يأخذ من الماء بحيث يزيد وزنه ويكون غشاً.**

س اشتريت داراً من امرأة، وكانت الدار مسكونة من مؤجر، وكان بدل الإيجار الذي قد قضت به المحكمة (٧٥) ديناراً شهرياً وقد أوعدني عند شرائي للدار بأن يسلمها لي بعد انتقالها لي بتاريخ (٣١ / ١٢ / ١٩٩٧م)، وعندما حان موعد التسليم رفض ان يسلم الدار متذرعاً بأن لا حق لي شرعاً بمطالبته بالإخلاء وأنه مستعد للإخلاء إذا ثبت شرعاً بأنه غاصب في بقائه في هذه الدار.
أرجو من سماحتكم بيان ما إذا كان هذا المؤجر محقاً شرعاً أو ان لي الحق بمطالبته بالاخلاء، علماً بأني محتاج للدار؟

ج **يجب على المؤجر إخلاء الدار، ويحرم عليه اشغالها ويكون غاصباً بذلك إلّا أن يأذن له المشتري بالبقاء فيها.**

س كان والدي يملك محلاً تجارياً ثم باعه على شخص بسرقفلية مقدارها (٧٠٠) دينار وبإيجار زهيد، ونحن ـ الورثة ـ الآن نريد أن نسترجع المحل من ذلك الشخص المشتري، فهل يحق لنا أن نعطيه نفس المقدار الذي دفعه إلى أبينا أي (٧٠٠) دينار؟ أو نعطيه ما يعجبنا أو ما نراه مناسباً ومتعارفاً في السوق في الوقت الحاضر. فإذا كان ذلك غير جائز فهل يحق لنا أن نفرض عليه بدل إيجار أعلى مما هو متعارف في السوق؟

ج **لا يجوز إخراجه إلّا بارضائه وإقناعه. كما لا يجوز فرض أجرة عليه أكثر من أجرة المثل، وذلك بالرجوع لأهل الخبرة لتحديدها.**

س إذا توقف رفع مشكلة مسيسة بحياة الإنسان أو صحته أو شؤونه الضرورية على تحصيل المال بمعاملة ربوية فما حكم ذلك؟

ج **المعاملة الربوية باطلة حتى في الحالة المذكورة.**

س اشتريت سيارة بقيمة (٧٠٠) ريال من سوداني وبعتها لأحد الشباب ولم أشترط عليه المبلغ فأخذها إلى مصلح وصلحها بقيمة (١٠٠٠) ريال فعندما صلحها جاء السوداني وسحب السيارة دون أن يعلم الرجل فقام الشاب وطلب مني المبلغ وهو لم يعطني قيمة السيارة وتوفي الشاب وطلب الورثة مني مبلغ (١٥٠٠) ريال وهو قال لي قبل أن يتوفى (١٠٠٠) ريال، فهل يكون علي دين للورثة أو على السوداني وكم أدفع؟

ج **الذي يبدو من السؤال أن ورثة الشاب يطالبونك بمبلغ تصليح السيارة والظاهر أنك غير مسؤول به بحسب ظاهر السؤال.**

س هناك صيغة لتهيئة السكن في بعض البلدان تتلخص في اتفاق صاحب الدار مع من يروم السكن على تأجير الدار لمدة سنة مثلاً، بأجرة رمزية على أن يقرضه من يروم السكن مبلغاً كبيراً لمدة سنة، ففي هذه الحالة هل يجوز للشخص أن يؤجر الدار لشخص آخر بأجرة اعتيادية ـ بموافقة صاحب الدار طبعاً ـ؟

ج **لا يجوز للشخص الذي استأجر الدار أن يؤجرها بأكثر من أجرتها الرمزية التي بذلها لصاحب الدار، إلّا أن يحدث في الدار شيئاً على ما ذكرناه في (المسألة ٨٦٠) من رسالتنا الأحكام الفقهية.**

س أعمل في شركة، وفيها موظف زميل أعلم بأنه ينصب على الشركة، نهيته عن ذلك وهددته بأني سأخبر الإدارة، ولكنه لم يرتدع، فهل يجب عليّ أن أخبر إدارة الشركة؟

ج **لا يجب عليك أخبار الشركة الا ان تكون مستأمناً على ذلك.**

س من أودع مبلغاً قدره (١٥٠ دينار) في عام ١٩٧٨م على سبيل الأمانة عند أحد الأشخاص، وتم انتقال المودع قهراً من مكانه إلى مكان آخر حيث توفي فيه وبقي له هنا بنتان يعلم الأمين بوجودهما، لكنه تصرف بالمبلغ المذكور طيلة هذه السنوات ولم يرجع الأمانة إلّا في هذه الأيام وهي (٤٥٠) ديناراً بقيمة عملتنا الحالية علماً بأن المبلغ كان بالعملة المتعارفة آنذاك (السويسرية)؟

ج **لا يجب عليه إرجاع أكثر من المبلغ المودع عنده، نعم إذا كان متهاوناً بالتأخير كان مأثوماً بذلك معتدياً فيه، يلزم الاستحلال من صاحب المال ولو بعوض.**

س أعطى صاحب مال مبلغاً قدره (٧٠٠,٠٠٠) دينار لعامل وأجازه بأن يعمل بمبلغ (٥٠٠,٠٠٠) دينار مضاربة بينهما ويبقى (٢٠٠,٠٠٠) دينار أمانة عند العامل، وبعد ذلك أودع العامل هذه المائتين عند شخص آخر بدون علم صاحب المال، ثم أنكر هذا الطرف الثالث على العامل المال وهو (٢٠٠,٠٠٠) دينار، فهل لصاحب المال الأول دخل في هذه الخسارة؟

ج **إذا كان في إيداع المال المذكور عند الطرف الثالث تفريطاً بحق الأمانة فيثبت الضمان على المودع، وإن لم يكن فيه تفريط فلا ضمان عليه، نعم إذا كان إيداعه عنده مبنياً على عدم دفعه لغيره كان ضامناً.**

س ذكرتم في (المنهاج، ج ٢، ص ٢٥٦، م ٢) أن الصبي المميز إذا اقدم على ايقاع المعاملة لنفسه مع الشك في اذن الولي جاز الحكم بصحة معاملته. .. فهل يشمل ذلك ما إذا كانت المعاملة في القضايا المهمة كبيع دار أو شرائه وخصوصاً إذا كانت مقابل عوض كلّي في ذمة الصبي ؟

ج **يقتصر في ذلك على ما يكون من شأن الصبي القيام به دون ما يكون موجباً للريب والشبهة.**
نعم لابد من صرف مقدار الكفالة على اليتيم.

س لو أراد عضو من الجمعية أن يقبض عن اليتيم الذي لا ولي له، هل يكفي أخذ الإذن في القبض من الحاكم الشرعي أو يجب أن يكون ولياً؟

ج **يكفي أخذ الإذن من أولى الناس بميراث اليتيم إذا كان متولياً لأمره، وإلّا فإن كان هناك من يتولى أمور اليتيم بالمعروف كفى استئذانه. وإلا فالأحوط وجوباً الرجوع للحاكم الشرعي.**

س إذا جعل الحاكم الشرعي أحد أعضاء الجمعية ولياً على اليتامى واستمر في العمل ثم أراد أن يترك العمل في الجمعية، فهل تنقطع ولايته؟ وهل للوكيل أن يجعل ولاية مشروطة ما دام في العمل؟

ج **المدار في ولاية أمر اليتيم على من يتولى أمره بالمعروف، فإن كان هناك شخص معين نفذ تصرفه في صلاح اليتيم، وإن كانت الجمعية هي المتولية لأمره نفذ تصرفها. نعم الأحوط وجوبا مراجعة العادل العارف في التصرفات المهمة فيكون التصرف بنظرهما معاً.**

س هل يجوز توكيل الغير من قبل شخص مجعول ولياً من قبل الحاكم الشرعي؟

ج **المدار في نفوذ التصرف على تولي الشخص لأمور اليتيم وإدارتها بالمعروف، كما يتضح بما سبق جواب الأسئلة المتقدمة.**

س هل يستطيع وكيل الحاكم الشرعي أن يعطي ولاية لأعضاء الجمعية على اليتامى المستفيدين من الجمعية أو لابد من تحديد المولى عليهم بالتشخيص؟

ج **تقدم المدار على إدارة الشخص لأمور اليتيم بالمعروف سواءً كان شخصاً معيناً أم جهة معينة تتعاقب أعضاؤها.**

رمضاني عمّار
(وهابي / رواندا)

حكاية مستبصر

ولد عام ١٩٧٣م بمدينة (كيسيني) في رواندا، درس في مدارس أهل العامة في بلده حتى حصل على الثانوية، وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة الوهابية في (كينيا).

بداية الاستبصار:

يقول الأخ رمضاني: (لم تكن حصيلة اطلاعي عن الشيعة إلاّ كأحد أبناء العامة، لأننا لا نقرأ تراث غيرنا من المذاهب وليس لنا احتكاك بهم لتتبلور في أذهاننا فكرة واضحة وصحيحة عنهم، فكل ما كنت أعرف عن الشيعة : أنّ لهم قرآناً غير قرآننا، وأنّهم يقولون بخيانة جبريل عليه السلام، ويقرّون زواج المتعة و. . .

شاءت الأقدار الإلهية أن أسافر إلى (كينيا) فألتقي ببعض أعضاء المراكز والمؤسسات الإسلامية الخيرية والثقافية، ومن بين هذه المؤسسات التي زرتها مؤسسة شيعية اسمها (بلال مسلم)، فاغتنمت هذه الفرصة لأتعرّف على التشيّع.

ولقد جرت بيني وبين بعض الشيعة مناظرات عديدة، وقرأت مجموعة كتب لهم، فظهر لي أنّ أغلب أتباع هذه الطائفة لهم عمق علمي وثقافي مستمد من عقيدتهم، ووجدتهم ليسوا كما كان يصوّره لنا علماؤنا، فرأيتهم أصحاب استدلال ومنطق متين، مما دفعني ذلك لأن أتردد على هذه المؤسسة للإحاطة بمعارفهم التي نالت إعجابي ومطالعة كتبهم، فعكفت على قراءة ما وقع بيدي من مؤلفاتهم بإمعان، وكنت مع ذلك أراجع علماءنا ومشايخنا لأحصل على ردّ لمقولات الشيعة، ولكن مع الأسف لم أحصل منهم على أي إجابة سوى أنّهم كانوا يحذّرونني من الاحتكاك بالشيعة، فأدركت حينئذ عجزهم عن الإجابة.

ومن الأمور التي استوقفتني وجعلتني أتأمل وأراجع حساباتي، مسألة الاختلاف الفقهي الكبير والواضح بين المذاهب الأربعة، فوجدت آراءهم متضاربة وكلاً منهم يدّعي أن ما ذهب إليه مطابق لسنة الرسول صلى الله عليه وآله، بل وجدت أنّ مصادر استنباطهم تعدّت القرآن الكريم والسنة المطهرة، فخضعت للآراء والاستحسانات! كما خضعت لدعم الحكام وتبنّيهم لها!.

فمن هنا جنّدت نفسي للبحث حول هؤلاء الأئمة الذين هم مرجع أبناء العامة. فوجدت أولهم أبا حنيفة إمام الأحناف قد تتلمذ على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام مدّة عامين، ذكرها كل من ترجم له حتى اشتهرت مقولته : (لولا السنتان لهلك النعمان)[١] كشهرة الكعبة بأنّها بيت الله الحرام. وكذلك مالك بن أنس امام المالكية، الذي أخذ قسماً من علمه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وكذلك محمد بن ادريس الشافعي امام الشافعية أخذ علمه عن جماعة أشهرهم مالك بن أنس. واخيرًا احمد بن حنبل امام الحنابلة قد صحب فترة من الزمن الشافعي وأخذ عنه. وبهذا تكون علومهم مصدرها الاصلي هو أحد أئمة اهل البيت عليهم السلام. فاذاً مصدر العلم أهل البيت عليهم السلام، فلماذا الأخذ من غيرهم؟؟

ومن خلال بحثه ظهر له هشاشة فقههم وآرائهم، فيقرّ مالك في هذا الخصوص قائلا: (إنّما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما خالف فاتركوه)[٢]. ويعترف أبو حنيفة بقوله: (هذا رأيي، وهذا أحسن ما رأيت، فمن جاء برأي خلافه قبلناه)[٣]. ويذعن الشافعي بهذا أيضاً فيقول: (إذا صح الحديث بخلاف قولي، فاضربوا بقولي الحائط)[٤]. ويصرّح بذلك أيضاً أحمد بقوله لرجل: (لا تقلدني ولا تقلدن. . . ، وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة)[٥].

فآراء الأئمة الأربعة ومقولاتهم هذه تؤكّد أنّ مذاهبهم لا قابلية لها في ذاتها على البقاء، بل كان بواسطة وصول أصحابها إلى سدّة السلطة.

في خضم هذه الأجواء كان مذهب أهل البيت عليهم السلام ينشر ما عنده من علوم ومعارف حتى تمكّن أن يبقى قائماً بذاته، على الرغم من توجيه الحملات الظالمة له ولأتباعه الذين أصبحوا غرضاً للتهم، وكانوا في نظر السلطات خارجين عن الإسلام.

والواقع أنّ السبب الوحيد في بقائه وديمومته استقاؤه التعاليم من رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق العترة الطاهرة عليهم السلام، الذين تحمّلوا ما تحمّلوا في سبيل إبقاء مدرسة آل محمّد صلى الله عليه وآله شاخصة ومستقلة عن تأثير السلطات. ولكل هذه الاسباب وغيرها تشرّف الاخ رمضاني عمار باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٩م بمدينة (مومباسا) الكينية، بعد تردده على مؤسسة (بلال مسلم) والحمد لله رب العالمين..

(نقل بتصرف: موسوعة من حياة المستبصرين/ مركز الابحاث العقائدية ج١ ص٢٤١) ■

---

١) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية للآلوسي: ٨.
٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ١٧١): ٣٢٧.
٣) انظر: مناقب أبي حنيفة للذهبي، باب قوله في الرأي: ٢١.
٤) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠/٣٥.
٥) أنظر: حجة الله البالغة للدهلوي: ١/٢٩٣.

قصيدة في مسلم بن عقيل عليه السلام:

أُخادِعُ نفسي بالأماني الكَواذِبِ

الشاعر عادل الكاظمي

أُخـادِعُ نفسي بالأماني الكَـــواذِبِ ... و أُنفِقُ عُمْري في اتّقـــــاءِ النّوائِبِ
ولا وَطَـــنٌ عندي و لا ذو مُـــروءَةٍ ... يُنافِـحُ عنّي في قِـراعِ المَصائبِ
جَزى اللهُ إخـــواناً تَمادَوا بِجهلِهِم ... و قَوْمـاً وَفَوا للغَـدْرِ أوفى المَطالِبِ
و قد كان لي صَحْبٌ عَبيداً كأنّهُمْ ... و ها أنا أشكو اليَوْمَ مِن جَوْرِ صاحِبِ
بَذَلْتُ و كان الوَفْـرُ جَمّاً نَميـرُهُ ... و قد صِـرْتُ لا مالاً ولا قَصْدَ راغِـبِ
و لو كـان لي عَتْـبٌ يُرجّى قَبولُهُ ... عَتِبْتُ و ما أُلزِمْتُ صَمْتَ المَـوارِبِ
فقد يورِثُ العَتْـبُ الجميـلُ عَداوَةً ... و تلك سَجايا النّـاسِ عند التّعـاتُبِ
و من يَدّخِرْ للدّهْـرِ ناساً خَبُرْتُهُمْ ... رمتْهُ قِسِيُّ الجَهْلِ سَهْمَ المَعاطِبِ
دَعِ الشمسَ تجري وِفْقَ ما أحكَمَ القَضا ... تـواصِـلُ بـالإشـراقِ هَـجْـرَ المَغارِبِ
و كُنْ أنتَ للأفـــلاكِ قُطْباً مَـــدارُهُ ... يُـزانُ بأحْـداقِ النّجـومِ الثّواقِـبِ
حَزِنْتُ و هل أبقى ليعقـــوبَ حُزْنُـــهُ ... على يوسفٍ غيرَ العيـونِ الـذّواهِـبِ
و ما كان حُزْني مِن خُطوبٍ سَئِمْتُها ... فَمَنْ لم يُقاسِ الدّهرَ غِـرُّ التَجارِبِ
و لكنّ جَـوْرَ النّاسِ أدمى مَحاجِـري ... بِغَـــدْرِ فتىً يُنْمى إلى آلِ غالِـــبِ
نَمـــاهُ إلى العَليـــاءِ و الفَخْرِ مَحْتِدٌ ... ومَجْدٌ تَسامى في سماءِ المَناقِـبِ
إذا افتخرَ الإســلامُ فالفَخْـرِ مُسْلِمٌ ... رسولُ الحسينِ السّبْطِ و ابنِ الأطائِبِ
و مَنْ عَمُّـــهُ عند المُلِمّـــاتِ حيدرٌ ... تَناهَـتْ إليهِ ساميـاتُ المَـــراتِبِ
و مَنْ عَمُّهُ في الحَزْمِ و العَزْمِ جعفرٌ ... يَـؤوبُ و قد وافى بأغلى المَكاسِبِ
و عبدُ مُنـــافٍ جَدُّهُ ناصَـــرَ الهُدى ... وآوى و حامى جـاهِـداً غيرَ ناكِـبِ
أبو طالـــبٍ أكـرِمْ بهِ مِنْ مُجاهِـــدٍ ... يَـذُبُّ عن المختـارِ دونَ الأقـارِبِ
و مِـنْ بعدِهِ أوصى عَقيـلاً و جعفراً ... على نَصْرِ طاها خَيْرِ فَـرْضٍ و واجِـبِ
كفى مُسلِماً ما أسبَغَ المَجْدُ ضافِياً ... مِنَ الجُودِ ما جادى سَخاءَ السَّحائِبِ
لَهُ والـــدٌ أوفى لِطاهـــا عُهودَهُ ... وقد أقبلَتْ بالمَوتِ أُسْدُ الكتائِـبِ

غَداةَ حُنَيْنٍ (والقَنا تَقْرَعُ القَنا) وسودُ المنايا تحتَ بيضِ القَواضِبِ
سرى ابنُ عقيلٍ الخَيْرِ ذو الفَضْلِ مُسْلِمٌ رسولَ هُدىً يجلو ظلامَ الغَياهِبِ
رسولَ هُدىً عن سِبْطِ طه مُجَلِّياً حَقائقَ نَهْجِ الحَقِّ عن كُلِّ رائِبِ
إلى الكوفةِ الحمراءَ مِنْ أرضِ مكّةٍ فسبحانَ مَن أسْرى بخيرِ الرَّكائِبِ
ليأخُذَ منها العَهْدَ في نَصْرِ دينِهِ وإرجاعِ حَقِّ اللهِ مِنْ كُلِّ غاصِبِ
و إصلاحِ ما شاء المُضِلّونَ صَدْعَهُ وتَقْويضِ ما شادَتْهُ أيْدي المَعائِبِ
و كَمْ أوفَدوا أو كاتَبوا سِبْطَ أحمَدٍ أنْ اقْدِمْ إلينا تَلْقَ مُخْضَرَّ جانِبِ
و ما خادَعوهُ إنّما نَحْسُ جَدِّهِمْ رماهُمْ بأدناهُنَّ سوءَ العَواقِبِ
أتى مُسْلِمٌ و الرّشْدُ حادٍ رِكابَهُ إلى مَجْمَعٍ ظامٍ إلى الرُّشْدِ ساغِبِ
و ما جاء للدّنيا الذي عاشَ ثائِراً يرى الموتَ دونً الحَقِّ أسمى الرَّغائِبِ
و لكنَّما الشَيطانُ أوحى لِجُنْدِهِ مَكائِدَ لا تبدو لِعَيْنِ المُراقِبِ
تُفرِّقُ شَمْلَ الناسِ مِنْ بعدِ جَمْعِهِمْ و قد حَكّمتْ فيهِمْ شُرورَ المَآرِبِ
دعا ابنُ زيادٍ الوَغْدُ جَيْشاً مُجَرَّباً إلى حَرْبِ ليثٍ غالِبٍ للغَوالِبِ
و قد صالَ فَرْدَاً شَدّ بالجَمْعِ بأسُهُ فما بينَ مَنحورٍ و ما بينَ هارِبِ
و لمّا دعاهُ الموتُ نَصْراً لِدينِهِ أراهُمْ مِنَ الإقدامِ إحْدى العَجائِبِ
لهُ صارِمٌ لا يألَفُ الغِمْدَ حَدُّهُ و ليس لهُ مِنْ نَبْوَةٍ في المَضارِبِ
فألقَوْا إليه السِّلْمَ و العَهْدُ بينَهُمْ رُجوعاً لأمْرِ اللهِ بينَ المَطالِبِ
و لكنّهمْ للغَدْرِ ألْقَوْا قِيادَهُمْ فخانوهُ أبناءُ السّفاحِ النَّواصِبِ
بنفسي غَريباً مُبْعَدَاً عن دِيارِهِ أحاطَتْ بهِ الذُّؤبانُ مِنْ كُلِّ جانِبِ
و قد ضاقَ في عَيْنَيْهِ ما أوسَعَ الفَضا و جارَتْ عليهِ مُرديَاتُ المَصائِبِ
فقادوهُ نحوَ الموتِ للهِ ما دَجا مِنَ الخَطْبِ ما أبكى عيونَ النَّوائِبِ
و قد ذاقَ حَرَّ السّيفِ صَبْراً مُكَبَّلاً و جَرّوهُ في الأسْواقِ دامي الجَّوانِبِ
و قد مُزِّقَتْ أشْلاؤُهُ مُذْ رَمَوا بهِ مِنَ القَصْرِ إطفاءَ الضُّغُونِ اللّواهِبِ
لِمُسلِمَ فَلْيَبْكِ أولوا الدّينِ و التُّقى دَماً و لْيَزِدْ بالنّوْحِ نَدْبُ النّوادِبِ
ألا يا رسولَ اللهِ منّي ثَواكِلٌ تُعزّيكَ في نَظْمِ الدَّموعِ السَّواكِبِ
أسَلْتُ بها قلبي رَجاءً لِقُرْبِكُمْ و قُرْبِ إمامِ العَصْرِ مِن آلِ طالِبِ
إمامِ هُدىً أدعو مِنَ اللهِ نَصْرَهُ فحَتى متى أبكي على فَقْدِ غائِبِ
عليكُمْ صلاةُ اللهِ تَتْرى نَدِيَّةً و للعِتْرَةِ الآلِ الكِرامِ الأطائِبِ

واحة الأدب

الخبر والإنشاء في دعاء الصباح

حسن جميل الربيعي
جامعة الكوفة/كلية الآداب

ينابيع أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام مدرسة روحية فكرية أخلاقية اجتماعية أدبية، تعطي الإنسان درساً من أي جانب شاء، ومن حيث ما يريد، إضافة إلى صلته وارتباطه بالله تعالى والتي هي الأساس الذي يحرر الإنسان من العبوديات كلها.

وهنا نحن بصدد جانب من هذه الجوانب وهو الجانب البلاغي في دعاء الصباح للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا الدعاء في أعلى مراتب الفصاحة، والبلاغة، والمتانة، والقوة، مع تمام الرغبة، والخضوع، والاستعارات العجيبة، ففيه نرى رصانة التعبير، مع رقة التصوير، وعذوبة الكلمات كلها دليل على صدور الدعاء عن نفس صالحة مؤمنة بربها[١]، كلام يحس القارئ له أنه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، ولنحلق في رحابه من خلال مفردة من مفردات علم المعاني وهي (الخبر والإنشاء) فيه.

أولاً: الخبر:

الخبر في مفهومه الاصطلاحي: هو كلُّ كلام يصح وصفه بالصدق والكذب لذاته، وهذا التعريف ينطبق على كلّ قول يطلقه أيُّ قائل، ولكن الأخبار الواردة في القرآن الكريم، والأحاديث الواردة عن الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم والحقائق العلمية والبديهيات التي لا يشك فيها، فلا يمكن أن تحتمل الكذب مع أنها إخبار عن شيء[٢].

إذن فمن ناحية ابتدائية كل الأخبار الواردة في النص هي أخبار صادقة؛ لأنّها صادرة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

والخبر يطلق لغرضين: الأول منهما هو فائدة الخبر، وهو كون المخاطب جاهلاً بالموضوع، ويطلعه المتكلم عليه؛ وثانيهما هو لازم الفائدة، كون المخاطب عارفاً بالموضوع، ولكنَّ المتكلمَ يريد أن يُعْلِمَ المخاطبَ بأنَّه عارفٌ بالموضوع أيضاً.

وما دام المخاطب في الدعاء هو الله تعالى الذي (**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**) (غافر: ١٩) فهو عالم بكل شيء إذن، فالخبر لا يزيده معرفة ولا اطلاعاً على شيء مخفي، إذن فكل الأخبار الواردة في النص هي للغرض الثاني وهو لازم الفائدة، ففي افتتاح الدعاء قوله عليه السلام: ((يَا مَنْ دَلَعَ لسانَ الصباحِ بِنُطْقِ تَبَلّجِه، وسَرَّحَ قطعَ اللّيلِ المَظلَمِ بِغَيَاهِبِ تَلَجْلُجِه...))، إنّ الداعي يريد أن يطلع الله تعالى أنّه عالم بنعم الله تعالى عليه، وهذا العلم منه يوجب عليه أن يطيع الله تعالى، ويشكره على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى، وهذا متناسب مع آداب الدعاء، والتي قد تكون ضماناً للإجابة؛ فإنَّ ((من آدابه أن يفتتح الداعي دعاءه بتمجيد الله، والثناء عليه لضمان إجابة دعائه))[٣].

هذه الصفات الواردة في الدعاء بصيغة الجمل الخبرية في بداية الدعاء كانت صلة للموصول، وجملة الصلة للموصول تكون معهودة للمخاطب معلومة عنده[٤]، وهذا ما يزيد من دلالة المعنى وقوته، ويفيد أيضاً أنّ الغرض هو لازم الفائدة.

والخبر يأتي بثلاثة أضرب كما صنّفه علماء البلاغة؛ هو الخبر الابتدائي الذي يأتي دون مؤكدات، والخبر الطلبي الذي يأتي مؤكداً بمؤكد واحد، والخبر الإنكاري الذي يأتي مؤكداً بأكثر من مؤكد.

أكثر الأخبار الواردة في الدعاء المبارك هي أخبار ابتدائية غير مؤكدة بمؤكدات مثل قوله: ((قَلْبِي مَحْجُوبٌ، وَنَفْسِي

مَعْيُوبٌ، وَعَقْلِي مَغْلُوبٌ، وَهَوَائِي غَالِبٌ))، وكقوله عليه السلام: ((تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ، وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ، وَتُخْرِجُ الحيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))، والأمثلة كثيرة في الدعاء، وهذه كلها غير مؤكدة بمؤكدات.

وقد وردت الأخبار في مواضع قليلة مؤكدة بأداة تأكيد واحدة، أي هي أخبار طلبية، وذلك في قوله عليه السلام: ((إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ)) ((إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) ((إِنَّكَ سَيِّدِي وَمَوْلايَ))، والملاحظ أنّ هذه الجمل الثلاثة كلّها في بيان قدرة الله تعالى؛ ولذلك جاء بها مؤكدة، وهذا التأكيد يفيد المتكلم قبل المخاطب، وكأنّه يقول: ليس هناك قادر غيرك، وليس هناك سيدٌ ومولى سواك.

ولم يأت الخبر الإنكاري في النص؛ وذلك لأنّ الخبر الإنكاري يلقى للمخاطب المنكر، أو المشكك، أو المعاند، وهذه الصفات تعالى الله عنها، ولا تتوافر في الداعي أيضاً الذي هو مقرٌّ بقدرة الله تعالى على كل شيء، ومحتاجٌ إلى عفو الله تعالى ومغفرته، وهو عالم أنَّ طلبه محصورٌ عند الله تعالى، وبالتالي فهو يقرُّ ويعترف بذنوبه، وبضعفه، أمام الله تعالى، لكي ينال ما يريد؛ ولذلك لم يأتِ بالأخبار الإنكارية.

والخبر يخرج إلى عدة معانٍ مجازية، ولعلّ من هذه المعاني التي خرج إليها الدعاء: إظهار الضعف، وهذا ما نراه بوضوح في قوله عليه السلام: ((قَلْبِي مَحْجُوبٌ، وَنَفْسِي مَعْيُوبٌ، وَعَقْلِي مَغْلُوبٌ، وَهَوائِي غَالِبٌ))، فهذه كلها أمور تظهر ضعف الإنسان وعجزه، فقد خرجت إلى معنى الضعف الذي يغلب على الداعي أمام الله تعالى.

ومن المعاني الأخرى التي خرج إليها الدعاء: الاسترحام والاستعطاف مثل قوله: ((هَذِه أَزِمَّةُ نَفْسِي عَقَلْتُها بعقال مَشِيئَتِكَ، وَهَذِه أَعْبَاءُ ذُنُوبِي دَرَأْتُهَا بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِك))، فالأخبار في هذه الجمل تخرج إلى معنى الاسترحام والاستعطاف التي يكون الإنسان بحاجة إليها أمام ربّه لكي يكمل مسيرة دربه.

ثانياً: الإنشاء:

الإنشاء: هو الكلام الذي يحصل مضمونه بمجرد التلفظ به، وهو لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولم يكن لنسبته خارج قصد حكايته، فالمقصود من إطلاقه إيجاد طلب السماع، ووعي المنطق بتلك الألفاظ[٥].

وللإنشاء عدة أساليب ظهرت في دعاء الصباح:

١- الأمر: وهو بمعناه الاصطلاحي هو طلب فعل الشيء وإحداثه[٦]، مثل قوله عليه السلام: ((وَافْتَح اللهمَّ لنا مَصاريعَ الصَّباح بمَفاتيح الرَّحمةَ والفَلاح))، ففي قوله طلب بافتتاح صباح اليوم بالبركة والرحمة والفلاح التي يعطيها الله تعالى للعبد.

ووردت صيغة الأمر كثيراً في الدعاء: ((واغْرِس اللهمّ بعَظَمَتِكَ في شرْب جَناني ينابيعَ الخشوع))، ((أَدِّب اللهمَّ نَزَقَ الخُرْقِ منّي بأزمّة القَنوع))، ((فاصفح اللهمَّ عمّا كنتُ أجْرَمْتُهُ من زللي وخطائي)).

ومن المعروف أن الأمر هو طلب من العالي إلى الداني، ولكن الخطاب هنا ما دام موّجهاً لله تعالى من قبل عبده، فهو موجه من الداني إلى العالي، وبهذا فهو قد خرج إلى غرض مجازي، وهو الدعاء، فالله تعالى لا يأمره أحد من خلقه، ((وسرُّ

بلاغة التعبير بالأمر في مقام الدعاء إظهار كمال الخضوع للمولى عزّ وجلّ وبيان شدة رغبة العبد في الغفران والتوبة، كأنهما أمران مطلوبان من الله جلّ وعلا))[٧].

٢- النهي: وهو بعكس الدعاء، أي طلب عدم إحداث الشيء، وقد ورد مرة واحدة في دعاء الصباح في قوله عليه السلام: ((فَلا تَرُدَّني مِنْ سَنيّ مَوَاهِبِكَ خائباً))، وهو هنا ليس نهياً حقيقياً، بل هو- كما في الأمر- نهي خرج إلى غرض الدعاء، والسر في هذا التعبير والخروج المجازي هو بيان رغبة العبد في الغفران وإظهار كمال الضراعة والتذلل له سبحانه، وهذا الاستعمال هو تصوير حي، وتعبير صادق عن رغبة الداعي في الحصول على المواهب السنية التي يعطيها الله لعباده[٨].

٣- الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل[٩]، هذا إذا كان استفهاماً حقيقياً، وقد تكون صيغة الاستفهام خارجة إلى معنى مجازي، وهو ما وجد في الدعاء المبارك، مثل قوله: ((فَمَن السالكُ بي إليكَ في واضح الطريق))، أي يا رب إن لم تبتدئني الرحمةَ منك، فلا سالك بي إليك، وحتى إن كان الطريق واضحاً، ومثله قوله عليه السلام: ((فَمَن المقيلُ عَثَراتي من كبواتِ الهوى))، أي لا أحد، وهاتان الصيغتان الاستفهاميان خرجتا إلى معنى مجازي هو النفي، وهذا التعبير المجازي جاء لتحريك الفكر وحث النظر لكي يصل الإنسان إلى الله تعالى عن طريق البحث والتفكير[١٠]، ولا شكّ أن البحث والفكر إذا توصل إلى الله تعالى من هذه الطريقة، فلا يمكن أن يتركه، ويحيد عنه، وهذه هي الجنبة التوحيدية في الدعاء، التي قدّمها الداعي عليه السلام لنا من خلال صيغة الاستفهام.

وهذا الأمر نفسه- معنى النفي المفهوم من الاستفهام- وجد في مقاطع أخرى من الدعاء، مثل قوله عليه السلام: ((كَيْفَ تَطْرُدُ مسكيناً الْتَجَأَ إِلَيْكَ من الذُّنوب هارباً، أم كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرْشداً قَصَدَ إلى جَنابِكَ ساعياً، أمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمْآنَ وَرَدَ إلى حِياضِكَ شَارِباً))، فالمعنى المتضمن من هذا النص: أنّك يا رب لا تطرد المسكين الملتجئ إليك، ولا تخيب المسترشد القاصد إليك، ولا ترد الظمآن الوارد إلى حياضك؛ وبالتالي فأنت وحدك يا رب المستحق للعبادة، المستحق للجوء، المستحق للاسترشاد، المستحق للورود، هذه المعاني تجسدت من خلال صيغة الاستفهام الواردة في النص.

وقد يخيل للقارئ أول مرة في النص الأخير أنَّ الإمام عليه السلام يريد بهذا الاستفهام التعجب، ولكن الإمام عليه السلام مع علمه اليقيني أنّ الله لا يمكن أن يرد السائل فهو الكريم لا يتعجب أبداً، بل يريد إثبات أنّ هذه الصفات كلّها لله تعالى وحده؛ لذلك عقّب قائلاً: ((كَلاّ،وحِياضُكَ مُتْرَعَةٌ في ضَنْكِ المُحُولِ، وبابُكَ مَفْتوحٌ للطّلب والوَغُولِ))، فهو مطمئن لهذه الصفات فلا يتعجب في المقام الأول، بل هو في مقام النفي.

٤- النداء: وهو- بأبسط تعريفاته - طلب الإقبال، والقارئ للنص يرى مركزية النداء في الدعاء، فهو تكرر بشكل صريح وبأدوات النداء ٣٠ مرة في النص، عدا ذكره محذوفاً، وتكرار النداء بكثرة يستدعي عطف المخاطب على القائل، إذ أن القائل يخصه وحده دون غيره[١١]، فيدعوه، ويتذلل إليه.

وكان بعض النداء بـ ((يا)) النداء، والقسم الآخر بلفظة ((اللهم))، وافتتح

الدعاء بالأداتين معاً: ((اللهمَّ يا مَنْ دَلَعَ لسانَ الصَّباحِ...))، ولفظة (اللهم) مختصة باللّه تعالى، والميم فيها للتعظيم، و(يا) النداء موضوعة لمناداة البعيد، وهي في موضع الدعاء تستعمل للدلالة على العظمة والعلو، فهي هنا إشعار ببعد منزلة اللّه تعالى، وعلو مكانته، وعظمته[١٢].

وورود النداء محذوفاً قد يكون لقرب المنادى من المنادي، سواء أكان القرب مادياً أم معنوياً[١٣]، وفي موضع الدعاء هو قرب معنوي، فكأن الداعي ينظر إلى قوله تعالى: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) (ق: ١٦) وهو يقرأ الدعاء؛ لذلك جاء في الدعاء: ((إلهي هذه أزّمة نفسي...))، ((إلهي قَلْبي مَحْجُوبٌ))، فحذف أداة النداء وبقي المنادى فقط.

وفي بعض الأحيان يكرر الداعي النداء، مثل قوله: ((يا كريمُ يا كريمُ يا كريمُ))، ((يا غَفّارُ يا غفارُ يا غفارُ))، فالداعي كرر ((نداءه واستغاثته، ولم يكتفِ بالنداء بهذا الاسم المحبب إليه سبحانه مرة واحدة، لعلَّ اللّه يقبل من عبده هذا التضرع، وهذا الخشوع، وهو يناديه بأجل أسمائه المحببة إليه))[١٤]■

---

١) ينظر: أضواء على دعاء الصباح، عز الدين بحر العلوم: ٣٥
٢) ينظر: الإيضاح: ٨٦-٨٧، والبلاغة والتطبيق: ١٠٥.
٣) أضواء على دعاء الصباح: ١٠٧.
٤) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ١١٢/١.
٥) ينظر :أساليب المعاني في القرآن: ٤٩.
٦) ينظر :المصدر نفسه: ٥١.
٧) من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عبد المعطي: ٨٢/٢.
٨) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٨٩/٢.
٩) ينظر :البلاغة والتطبيق: ١٣١.
١٠) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ١٢٥/٢.
١١) ينظر :أساليب المعاني في القرآن: ١٢٣.
١٢) ينظر: علم المعاني، عبد الفتاح بسيوني: ٤١٤.
١٣) ينظر :معاني النحو: ٢٧٨/٤.
١٤) أضواء على دعاء الصباح: ٢٨٨-٢٨٩.

فضل الدعاء

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: من صلى صلاة فريضة وعقب إلى أخرى فهو ضيف اللّه وحق على اللّه أن يكرم ضيفه.

وعنه عليه السلام يقول: إن فضل الدعاء بعد الفريضة على الدعاء بعد النافلة كفضل الفريضة على النافلة، قال: ثمَّ قال: ادعه ولا تقل قد فرغ من الأمر فإن الدعاء هو العبادة إن اللّه عز وجل يقول: (**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ**) وقال: (**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**) وقال إذا أردت أن تدعو اللّه فمجده واحمده وسبحه وهلله وأثن عليه وصل على النبي صلى الله عليه وآله ثمَّ سل تعط.

وعنه عليه السلام: يستجاب الدعاء في أربعة مواطن في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب. (روضة المتقين/المجلسي الاول/ج٢ص٣٨٠)

من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة

إلهي أَنَا الْفَقيرُ في غِنايَ، فَكَيْفَ لا أَكُونُ فَقيراً في فَقْري، إلهي أَنَا الْجاهِلُ في عِلْمي، فَكَيْفَ لا أَكُونُ جَهُولاً في جَهْلي. إلهي إنَّ اخْتِلافَ تَدْبيرِكَ وسُرْعَةَ طَوآءِ مَقاديرِكَ، مَنَعا عِبادَكَ الْعارفينَ بِكَ عَنْ السُّكُونِ إلى عَطاءٍ واليَأْسِ مِنْكَ في بَلاءٍ. إلهي مِني ما يَليقُ بِلُؤْمي، ومِنْكَ ما يَليقُ بِكَرَمِكَ.

إلهي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ والرَّأْفَةِ لي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفي، أَفَتَمْنَعُني مِنْهُما بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفي. إلهي إنْ ظَهَرَتِ المَحاسِنُ مِني فَبِفَضْلِكَ ولَكَ الْمِنَّةُ عَلَيَّ، وإنْ ظَهَرَتِ الْمَساوي مِني فَبِعَدْلِكَ ولَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ.

إلهي كَيْفَ تَكِلُني وقَدْ تَكَفَّلْتَ لي، وكَيْفَ أُضامُ وأَنْتَ النَّاصِرُ لي، أَمْ كَيْفَ أَخيبُ وأَنْتَ الْحَفِيُّ بي، ها أَنَا أَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِفَقْري إلَيْكَ، وكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِما هُوَ مَحالٌ أَنْ يَصِلَ إلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ أَشْكُوُ إلَيْكَ حالي وهُوَ لا يَخْفى عَلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ بِمَقالي وهُوَ مِنْكَ بَرَزٌ إلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ آمالي وهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إلَيْكَ، أَمْ كَيْفَ لا تُحْسِنُ أَحْوالي وبِكَ قامَتْ.

إلهي ما أَلْطَفَكَ بي مَعَ عَظيمِ جَهْلي، وما أَرْحَمَكَ بي مَعَ قَبيحِ فِعْلي.

إلهي ما أَقْرَبَكَ مِني وأَبْعَدَني عَنْكَ، وما أَرْأَفَكَ بي فَما الَّذي يَحْجُبُني عَنْكَ. إلهي عَلِمْتُ بِاخْتِلافِ الآثارِ وتَنَقُّلاتِ الأَطْوارِ، أَنَّ مُرادَكَ مِني أَنْ تَتَعَرَّفَ إلَيَّ في كُلِّ شَيْءٍ حَتّى لا أَجْهَلَكَ في شَيْءٍ.

إلهي كُلَّما أَخْرَسَني لُؤْمي أَنْطَقَني كَرَمُكَ، وكُلَّما آيَسَتْني أَوْصافي أَطْمَعَتْني مِنَنُكَ. إلهي مَنْ كانَتْ مَحاسِنُه مَساوِيَ، فَكَيْفَ لا تَكُونُ مَساويه مَساوِيَ، ومَنْ كانَتْ حَقايِقُه دَعاوِيَ فَكَيْفَ لا تَكُونُ دَعاويه دَعاوِيَ.

إلهي حُكْمُكَ النَّافِذُ ومَشِيَّتُكَ الْقاهِرَةُ، لَمْ يَتْرُكا لِذي مَقالٍ مَقالاً، ولا لِذي حالٍ حالاً.

إلهي كَمْ مِنْ طاعَةٍ بَنَيْتُها، وحالَةٍ شَيَّدْتُها، هَدَمَ اعْتِمادي عَلَيْها عَدْلُكَ، بَلْ أَقالَني مِنْها فَضْلُكَ. إلهي إنَّكَ تَعْلَمُ أَني، وانْ لَمْ تَدُمِ الطَّاعَةُ مِني فِعْلاً جَزْماً فَقَدْ دامَتْ مَحَبَّةً وعَزْماً.

إلهي كَيْفَ أَعْزِمُ وأَنْتَ الْقاهِرُ، وكَيْفَ لا أَعْزِمُ وأَنْتَ الآمِرُ.

إلهي تَرَدُّدي في الآثارِ يُوجِبُ بُعْدَ الْمَزارِ، فَاجْمَعْني عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُني إلَيْكَ، كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِما هُوَ في وُجُودِه مُفْتَقِرٌ إلَيْكَ، أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ، مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتاجَ إلى دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، ومَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتي تُوصِلُ إلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقيباً، وخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصيباً.

(مفاتيح الجنان/عباس القمي/ص٤٢٤)

واحة الأدب

دلالة المشتقات على الترغيب في القرآن الكريم

د.أحمد كاظم عمّاش
كلية الدراسات القرآنية/بابل

ينابيع

القرآن الكريم تعبير إلهي مقصود بكل حرف وكلمة، وهذه القصدية لغوية لا يأتي فيها تعبير من دون هدف، والمشتقات الصرفية فيها دلالتها التعبيرية المأخوذة من الصيغة لتضفي عليها ذلك التعبير المعجز.

والترغيب في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة، فله أثر في الدعوة للإسلام؛ لأن الإنسان إما أن يأتي بالترغيب وإما بالترهيب، والمشتقات هي (اسم الفاعل، وصيغ المبالغة، واسم المفعول، وأفعل التفضيل).

دلالة اسم الفاعل:

هو اسم مشتق للدلالة على فاعل الحدث، أو من قام به يفيد التجدد والحدث[1].

ويعد التجدد والحدث من أوسع معاني اسم الفاعل، ويقصد بالتجدد ما يقابل الثبوت، وبالحدث معنى المصدر، فـ(قائم) ـ مثلاً ـ اسم فاعل يدل على القيام، وهو الحدث، وعلى التجدد أي التغيير، فالقيام ليس ملازماً لصاحبه، ويدل على ذات الفاعل أي صاحب القيام[2].

ويُصاغ من الثلاثي على وزن فاعل،

نحو:ضارب وقاتل، فإذا كان فعله أجوف، قُلبَ حرف العلة همزة، نحو: قال يقول فهو قائل، وباع يبيع فهو بائع.

ويُصاغ من غير الثلاثي على وزن مضارعه، بإبدال حرف المضارع ميماً مضمومة وكُسِرَ ما قبل الآخر[٣]

الدلالة الزمنية لاسم الفاعل[٤]:

١- المضي: وذلك كقوله تعالى: (**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)(إبراهيم: ١٠)

٢- الحال: وذلك كقوله تعالى: (**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ**) (المدثر: ٤٩)

٣-الاستقبال: كقوله تعالى: (**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**) (ص:٧١-٧٢)

٤- الاستمرار: كقوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ* فَالِقُ الْإِصْبَاحِ. ...**) (الأنعام : ٩٥-٩٦).

أمّا دلالة اسم الفاعل على الترغيب في القرآن الكريم،فنتذوّقها بالأمثلة الآتية: ففي قوله تعالى: (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**) (النور :٥٢).

فطاعة الله والخشية منه وطاعة نبيه تجلب الفوز، و(الفائزون) جمعٌ مفرده (فائز)، وجاء هنا ليدل على ثبوت صفة الفاعل، وهي الفوز، لأنّه جاء مقطوعاً عن العمل، وهذا ما جعله يدل على ثبوت الصفة، لاقترابه من الاسم أكثر من الفعل[٥].

ونقصد بالثبوت هنا هو الاستمرار التجددي الذي يفيد أنّ الحدث يحصل متجدداً مع الوقت ويفيد الحدوث، وليس المراد به الاستمرار الثبوتي الذي يكون مع الأزمنة الثلاثة: الماضي والحال والاستقبال، والذي يرشح اسم الفاعل لأنّ يكون صفة مشبهة[٦].

ولهذا نجد القرآن استخدم اسم الفاعل ترغيباً للناس في طاعة الله ورسوله وعدم معصيتهما والخشية من الله واتقائه، لكي يكون من الفائزين الذين ثبتت لهم صفة الفوز في الدنيا والآخرة.

دلالة صيغ المبالغة:

وهي عبارة عن تحويل صيغة اسم الفاعل إذا أريد به الدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث[٧].

وذكر الصرفيون أنّها تشتق من الفعل الثلاثي، وتحول إلى خمسة أوزان هي:

فَعَّال – مِفْعَال – فَعُول – فَعِيْل – فَعِل.

وقد جاءت مأخوذة من غير الثلاثي نحو: درّاك من أدرك، ومعطاء من أعطى، ومهوان من أهان، وسميع من أسمع، ونذير من أنذر، وزهوق من أزهق[٨].

وقد وردت صيغ المبالغة في القرآن الكريم دالة على الترغيب في آيات كثيرة، سنعرض لها بحسب الصيغ التي وردت في القرآن وعلى النحو الآتي.

١- فَعّال:

كقوله تعالى: (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**)(البقرة:٣٧).

(توّاب) على زنة (فعّال)،من(تاب يتوب فهو تائب)، وقد دلت على أنّ الباري كثير القبول للتوبة، ويقبلها مرة بعد مرة، وهذه الصيغ تقتضي الاستمرار والتكرار؛ لأنّها من أشهر صيغ المبالغة فيكون سبحانه المبالغ ـ في نظر عباده ـ في قبول توبتهم؛ لأنّه كلما تاب العبد قبل توبته ولو عظمت المعصية وعظم الذنب، فسبحانه من توّاب ما أكرمه ومن رحيم ما أعظمه[٩].

قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) دلالة الحديث عامة لكل أفعال الناس التي يفعلونها مع الله ومع

أمثالهم.

وفي دلالة (فَعّال) على المبالغة قال ابن جني: (ومن ذلك أيضًا قولهم: رجل جميل، ووضيء؛ فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وُضّاء و جُمّال، فزاد في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه... وكأن أصل هذه الزيادة إنما هو لتضعيف العين، في نحو المثال؛ قطّع وكسّر وبابهما،...كذلك البزّاز والعطّار والقصّاب ونحو ذلك؛ إنما هي لكثرة تعاطي هذه الأشياء، وإن لم تكن مأخوذة من الفعل)[١٠].

فذكْر التوّاب ترغيب للعباد في قبولهم على الله جلّ وعلا بالتوبة وترك المعصية، وهذا من رحمته وفضله على عباده، ويتوب واحدهم عن الآخر فتتحقق الوحدة المنشودة.

وكذلك قوله تعالى: (**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**)(طه: ٨٢). فـ(غَفّار) من (غفر يغفر) للمبالغة والتكثير في غفران الذنوب، ولم يقل (غافر أو سأغفر) لأنّه وعد بالرحمة المؤكدة وهي كثرة المغفرة لكل إنسان تاب وآمن وعمل صالحاً، فالطريق مفتوح أمام العاصين والمذنبين لكي ينالوا المغفرة بالرجوع إلى الله بالتوبة الصادقة[١١].

جاء في مجمع البيان: (أي كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة، وهو في صفة العباد الكثير التوبة)[١٢].

فغفّار هو أبدًا هكذا فكأنّ هذه هي حرفته وصنعته يغفر للمذنبين العاصين بصورة مستمرة ومتجددة[١٣].

والمغفرة لمن عمل صالحًا، والعمل الصالح يحقق الأخوة بين الناس أجمعين.

٢- فَعيل:

كقوله تعالى: (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) (النحل:١٨).

(رحيم) صيغة مبالغة مشتقة من الفعل الثلاثي (رَحِمَ) فهو راحم، وقد دلت على أنّه كثير الرحمة للعباد لأنّه سبحانه أحسن لهم بعدم مؤاخذتهم بالغفلة عن شكر نعمه والقصور عن إحصائها[١٤].

فالرحيم كثرة الرحمة، وإدامتها عليهم وإدرارها في كلّ لحظة، وعند كلّ نَفَس يتنفسونه وحركة يتحركونها، فخصهم سبحانه بنعم لا تعدُّ ولا تحصى ترغيباً لهم لكي يتوجهوا إليه بعبادته وطاعته.

ودلت الرحيم على النسب[١٥] فضلاً عن دلالتها على المبالغة، وهذا ما عناه الطبرسي بقوله: (الرحيم ذو الرحمة، ولذلك أنعم عليكم بخلق هذه الأنعام ابتداءً منه)[١٦].

ومثل هذا قوله تعالى: (**إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**) (التغابن: ١٧).

(حليم) على وزن فعيل، وقد أفاد المبالغة والكثرة، وهو منقول من فعيل، الذي هو من أبنية الصفة المشبهة،[١٧] وقد دلّ هنا على كثرة صبره سبحانه وتمهله في عقوبة من عصاه، وتدل على لطفه ومسامحته لعباده على كثرة ذنوبهم، وهذا في غاية الإكرام[١٨].

يقول الزمخشري: (يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم)[١٩].

جاء في تفسير البصائر في قوله: (شكور حليم) (تعليلاً للمضاعفة وترغيباً في النفقة)[٢٠]، والنفقة تقضي على ظاهرة الفقر التي تنخر بالمجتمع وتفتت اللحمة والوشائج بين مكونات الدين الواحد، بسبب الفروق التي تظهر بينهم، فرفاهية مجموعة وفقر أخرى يجعل المجتمع يتحارب فيما بينه.

فَعُول:

كقوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ* لِيُوَفِّيَهُمْ**

أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر: ٢٩-٣٠)

(غفور شكور): على زنة فَعُول، وهي من الصيغ التي تدل على المبالغة لمن دام منه الفعل وكَثُر،[٢١] فغفور: هو دائم المغفرة لذنوب المذنبين لأنهم كلما تابوا نالوا المغفرة.

وكذلك الشكور كلما عملوا صالحاً شكرهم سبحانه وتعالى، والشكر مجاز عن الإثابة، أي: هو دائم الشكر لأعمالهم الحسنة [٢٢].

فنلحظ أنّ غفوراً وشكوراً يفيدان المبالغة؛ لأنهما قد دلتا على الاستمرار والكثرة في الغفران والإثابة، وهذا له دلالة واضحة على ترغيب المؤمنين في الإقبال على تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله سرّاً وعلانية.

دلالة اسم المفعول:

هو اسم يشتق من الفعل المضارع المبني للمجهول للدلالة على من يقع عليه الفعل[٢٣].

يُصاغ من الفعل الثلاثي الصحيح على وزن (مفعول)، نحو: يُكْتَب= مكتوب، يُضْرَب= مضروب.

ويُصاغ من غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارع ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر.

أمّا إذا كان الفعل الثلاثي معتل اللام واوياً أو يائياً، فإذا كان واوياً فاسم المفعول منه على وزن (مفعول) مثل (مدعوٌّ).وإذا كان يائياً فاسم المفعول منه على وزن (مفعول) أيضاً مثل (مرميٌّ)[٢٤].

أمّا إذا كان معتل العين بالواو أو بالياء، ففيه خلاف طويل، لا نخوض فيه، وإنّما نأخذ برأي آخر وهو أن يؤخذ اسم المفعول من صيغة مضارعه بإبدال حرف المضارع ميماً نحو: (يَقُوْل – مَقُول) من الأجوف الواوي.

وإذا كان معتل العين بالياء فيكون (يبيع = مَبِيْع)[٢٥].

ويدل اسم المفعول على وصف المفعول بالحدث وصفًا متجددًا، فهو يدل على الثبوت إذا ما قِيس بالفعل وعلى الحدوث إذا ما قِيس بالصفة المشبهة[٢٦].

ويقال في اسم المفعول في دلالته على الزمن كما قيل في اسم الفاعل فهو يدل على:

١-المضي: كما في قوله تعالى: (**كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى**) (الرعد: ٢).

٢-الحال: كما في قولك: أقبل مسرورًا.

٣-الاستقبال: وذلك كقوله تعالى: (**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**) (هود: ١٠٣). أي: سيجمع ويُشهد.

٤-الاستمرار: نحو قوله تعالى: (**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**) (هود: ١٠٨).

٥- الدلالة على الثبوت كالصفة المشبهة: نحو: هو مدور الوجه، مقرون الحاجبين، مفتول الساعدين، بل هو صفة مشبهة[٢٧].

ولاسم المفعول دلالة على الترغيب في الوحدة الإسلامية، بما يدل على وصف المفعول بالحدث وصفاً متجدداً. كما في قوله تعالى: (**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ**) (الواقعة:٢٧-٣٤).

إنّ اسم المفعول في هذه الآيات دلّ على الاستمرار؛ لأنّ هذه النعم الموجودة في الجنّة المخصصة لأصحاب اليمين متصلة غير منقطعة وهي مبسوطة متجددة كلما أرادوا أعطاهم ربُّهم من فضله وإحسانه.

فاسم المفعول وصف بهذه الأحداث التي أفادت تجدد النعم في الجنة وما يحصل عليه المؤمنون جزاء ما عملوا، وهذا مما لا شك فيه دلالة واضحة على الترغيب في عمل الخير

والصلاح، وهذا الخير ينتشر بين الناس فيؤلف بين قلوب الناس ويجعلهم كالبنيان المرصوص في عمل الخير والصلاح.

ومثل هذا قوله تعالى: (**إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ**) (المعارج:٢٢-٣٥).

(المكرمون): اسم مفعول اشتق من غير الثلاثي ويعني: مبجلون منعمون معظمون[٢٨]. وهم المصلون والمتصدقون والحافظون لفروجهم والخائفون ربّهم والمؤدون أماناتهم، وصفة المكرمين (من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أنّ من أعظم ما يجب أنّ تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم)[٢٩].

واسم المفعول (مكرمون) قد أفاد استمرار التبجيل والتعظيم لمن وُصِفَ بحدث الإكرام وهذا فيه دلالة واضحة على الترغيب في هذه الأعمال التي توصل إلى الإكرام وتبعد عن الإهانة في الآخرة، وهذا واضح الدلالة لأن اسم المفعول قد رغّب في هذه الأعمال التي تدفع إلى وحدة المسلمين.

دلالة أفعل التفضيل:

أفعل التفضيل هو وصف على وزن أفعل، يدل على اشتراك شيئين في صفة وزيادة أحدهما على الآخر فيها[٣٠].

وله صيغة واحدة هي(أفعل) ومؤنثها (فُعْلَى) وتُصاغ بشروط ذكرها الصرفيون وقد جاءت في العربية ثلاثة ألفاظ تفيد التفضيل بلا همزة وهي (خير– شر– حب)[٣١].

ولأفعل التفضيل باعتبار المعنى ثلاث حالات هي:

١- أن يراد به شيئان اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر فيها نحو: زيد أكرم من عمرو.

٢- أن يراد به أنّ شيئاً زاد في صفة نفسه على شيء آخر في صفته، فلا يكون بينهما وصف مشترك كقولهم: العسل أحلى من الخل والصيف أحرُّ من الشتاء، والمعنى أنّ العسل زاد في حلاوته على الخل في حموضته، والصيف زائد في حرِّه على الشتاء في برده.

٣- أن يراد به ثبوت الوصف لمحلّه من غير نظر إلى تفضيل نحو: زيد أعلم أهل القرية. أي هو عالمهم[٣٢].

ومن أمثلة دلالة أفعل التفضيل على الترغيب في الوحدة الإسلامية ففي قوله تعالى: (**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**) (الإسراء: ٣٥).

نلحظ أنّ (خير) أصله (أخير)، وصيغ من الفعل (خار- يخير)[٣٣] و(أحسن) صيغ من الفعل (حَسُن – يَحْسُن) وهما اشتقا بحسب الشروط التي ذكرها العلماء.

ونرى في هذين الاسمين دلالة على ترغيب الناس في إتمام الوزن والكيل في المعاملات فيما بينهم وإيفاء حقوق العباد[٣٤].

فنجد الاسمين زادا في أفضلية إيفاء الوزن والكيل في أنفسهما على بخس الناس أشياءهم ولم تذكر الصفة الثانية في الآية ولكن فُهِمَ من آيات أُخَر.

فيتبن من ذلك أنّ الاسمين أريد بهما

زيادة في صفة إيفاء حقوق العباد على صفة بخس الناس وغبنهم، وإذا طبق المسلمون هذه الأمور تتحقق أعلى سمات الوحدة بين المجتمع الواحد ومنه إلى وحدة الأمة .

ومثله قوله تعالى: (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**) (النور:٣٠).

ونرى أنّ (أزكى) الذي صيغ من الفعل (زكا)، قد دلّ على زيادة في صفة نفسه، وهي غض البصر على الإبصار المحرم وحفظ الفرج وهتك الستور وإباحتها.

وتقدير الكلام: غض البصر عن المحرمات وحفظ الفروج أزكى لكم من الإبصار المحرم وهتك السُتور وإباحتها.

فنجد أنّ القرآن استعمل هذه الصيغة لترغيب المؤمن في غض بصره عن المحرمات وحفظ الفروج بالمفاضلة بين شيئين لا يوجد بينهما وصف مشترك- والله أعلم- ■

---

١) ينظر: المفتاح في الصرف: ٥٧/أحمد بن علي بن مسعود، وعمدة الصرف، كمال إبراهيم: ٨٣.
٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية:٤٦-٥٠، ومعاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان.
٣) ينظر: المفتاح في الصرف: ٥٨، وعمدة الصرف: ٨٣-٨٤، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٥٩.
٤) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٥٠-٥٢.
٥) ينظر: اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية، فاضل مصطفى الساقي: ٨٠.
٦) ينظر: اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية: ٨١-٨٢،والصبر ودلالته في القرآن الكريم(دراسة لغوية): ٤٦.
٧) ينظر المفتاح في الصرف: ٥٨، شرح الشافية: ٤/٢ ٨-٨٥، شرح ابن الناظم: ١٦٤.
٨) ينظر: كتاب سيبويه:١/١١٠-١١٥، شرح الشافية: ٤/٢ ٨-٨٥، شرح ابن الناظم: ١٦٤.
٩) ينظر: مجمع البيان: ٢٠٠/١، وتفسير النسفي: ٦٤/١، وتفسير الخازن: ٤٥/١.
١٠) الخصائص:٢٦٩/٣-٢٧٠.
١١) ينظر: الميزان: ٢٥١/١٤، وتفسير البصائر: ٣٣٧/٣٥.
١٢) ينظر: مجمع البيان: ٢٠٠/١.
١٣) ينظر: التفسير الكبير:١٣٨:٣٠، ومعاني الأبنية في العربية: ١١٠.
١٤) ينظر: المفردات: ٣٤٧، وفتح القدير: ١٩١/٣.
١٥) ينظر: معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ٥١.
١٦) مجمع البيان: ٥٤٠/٦.
١٧) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١١٧.
١٨) ينظر: تفسير الخازن: ٢٧٧/٤، وفتح القدير: ٢٩٧/٥، وتفسير البصائر: ٩٢/٤٧.
١٩) الكشاف: ١١١٤.
٢٠) تفسير البصائر: ٤٢/٤٧.
٢١) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١١٤.
٢٢) ينظر: الكشاف:٨٨٦، وفتح القدير: ٤٣٥/٤، وتفسير القاسمي: ٣٤/٦.
٢٣) ينظر: المفتاح في الصرف: ٥٩، ومراح الأرواح: ٧٥، وشذا العرف: ٥٦.
٢٤) ينظر: الكتاب: ١/٣٤٨-٤٠٧، والممتع في التصريف، لابن عصفور الأشبيلي.
٢٥) ينظر: التطبيق الصرفي: ٧١-٧٢، ودراسات في علم الصرف: ٥٨.
٢٦) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٥٩، والدلالة الإيحائية في الصفة الإفرادية: ١٩١.
٢٧) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ٥٩-٦٠.
٢٨) ينظر: مجمع البيان: ٦٩٢/٨.
٢٩) الكشاف ٩٠٥.
٣٠) ينظر: شذا العرف: ٥٨، وعمدة الصرف: ٩٣، وقواعد الصرف: ٥٣، والصرف الوافي: ١١١.
٣١) ينظر: المفصل: ٢٣٢-٢٣٧، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٤٣/٣-٥٥.
٣٢) ينظر: شذا العرف: ٦١-٦٢.
٣٣) ينظر: القاموس المحيط: مادة (خير) ٣٦٣.
٣٤) ينظر: مجمع البيان: ٦٣٩/٦.

في الذاكرة

شهر ذي القعدة

١ ولادة السيدة فاطمة المعصومة سنة ١٧٣ هـ.

١ صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وآله ومشركي مكة سنة ٦هـ.

٥ وفاة السيد ابن طاووس سنة ٦٦٤هـ.

٨ فرض هذا اليوم الحج على المسلمين سنة ٨هـ.

٩ إرسال مسلم بن عقيل عليه السلام كتابًا إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره عن أحوال الكوفة وأهلها سنة ٦٠هـ.

١١ ولادة الإمام الرضا عليه السلام في المدينة المنورة سنة ١٤٨ هـ.

١١ ولادة الشيخ المفيد قدس سره سنة ٣٣٦هـ.

١٧ وفاة الشيخ عبد الكريم الحائري، مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة سنة ١٣٥٥ هـ.

١٨ وفاة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء بعد صلاة الفجر سنة ١٣٧٣هـ.

٢٣ غزوة بني قريظة سنة ٥هـ.

٢٣ توجه الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى طوس سنة ٢٠٠هـ.

٢٥ يوم دحو الأرض.

٢٦ خروج النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه إلى حجة الوداع سنة ١٠هـ.

٢٩ آخر ذي القعدة استشهاد الإمام الجواد عليه السلام مسمومًا سنة ٢٢٠ هـ.

في الذاكرة

شهر ذي الحجة

١ زفاف فاطمة الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام سنة ٢هـ.

١ عزل أبي بكر عن تبليغ سورة براءة سنة ٩هـ ،وتولية الإمام علي عليه السلام بها.

٣ دخول النبي صلى الله عليه وآله مكة لحجة الوداع سنة ١٠ هـ.

٤ سجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سنة ١٧٩هـ.

٥ غزوة ذات السويق بعد اثنين وعشرين شهرًا من الهجرة.

٧ شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة ١١٤هـ على يد الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك.

٨ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق يوم التروية سنة ٦٠هـ.

٨ خروج مسلم بن عقيل بالكوفة داعيًا إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

٩ إغلاق النبي صلى الله عليه وآله أبواب المسجد إلا باب علي بن أبي طالب عليه السلام.

٩ شهادة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة سنة ٦٠هـ.

٩ شهادة عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع جمع من أخوته وأبناء عمومته في سجن المنصور العباسي سنة ١٤٥هـ في منطقة الهاشمية قرب الحلة.

١٠ عيد الأضحى المبارك.

١٣ وفاة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني سنة ١٣٨٩هـ.

١٥ ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢١٢هـ على رواية.

١٨ عيد الغدير الأغر، يوم الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام سنة ١٠هـ.

٢١ وفاة المحقق الشيخ كاظم الخراساني الشهير بالآخوند قدس سره سنة ١٣٢٩هـ.

٢٢ شهادة ميثم التمار رضي الله عنه في الكوفة سنة ٦٠هـ..

٢٣ استشهاد أولاد مسلم بن عقيل على يد جلاوزة بني أمية سنة ٦١هـ على رواية.

٢٣ وفاة المحدث الشيخ عباس القمي مؤلف كتاب (مفاتيح الجنان) في النجف الأشرف سنة ١٣٥٩هـ..

٢٤ يوم المباهلة ونزول جبريل بآية التطهير.

٢٤ تصدق الإمام علي عليه السلام بالخاتم سنة ٠١هـ.

٢٥ نزول سورة هل أتى (الدهر) في شأن أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

٢٥ أول صلاة جمعة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد بيعة الناس له سنة ٥٣هـ..

٢٧ مقتل مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢هـ..

٢٨ يوم واقعة الحرة سنة ٦٣هـ، والغارة على المدينة المنورة من قبل جيش يزيد بن معاوية بقيادة (مسلم) مسرف بن عقبة وقتل أكثر من ٢٠٠٠ مسلمٍ.

وقفة مع الذكرى

استشهاد الإمام الجواد عليه السلام

آخر ذي القعدة.

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، هو الإمام التاسع من أئمة أهل البيت عليهم السلام. أبوه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام. وقد بشر بمولده قبل أن يولد بعام. حيث ولد عليه السلام في العاشر من رجب عام (١٩٥هـ).

اقتضت سياسة المأمون العباسي أن يحتوي الأزمات التي تعصف بحكم بني العباس والثورات في البلاد هنا وهناك فدبر مؤامرة ولاية العهد إلى الإمام الرضا عليه السلام ليجعله تحت أنظاره بعد أن لمع نجمه في العالم الإسلامي واستهوته القلوب والعقول، فأمر بإشخاصه من المدينة إلى (مرو)، ليجعله وليًا للعهد، فأبى عليه الإمام إباءً شديداً، فأصر عليه المأمون قبول ولاية العهد. وأحس

الإمام بالمناورة وأهدافها البعيدة، فقبل ذلك بشروط رآها عليه السلام تحقق المصلحة العامة، على الأقل في مرحلته الراهنة.

ولم تمض سنة ونصف وهو يتحين الفرص لاغتياله حتى اغتاله بالسم. وفعلًا فقد نجح الداهية اللعين في مسعاه ذلك، وقضى على أفضل رجل على وجه الأرض في زمانه، كما عبّر هو بذلك عنه.

إمامته: بقيت الطائفة في حيرة بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام في صفر من سنة (٢٠٣هـ)، واختلفت الكلمة بين الناس، واستُصغر سن أبي جعفر، وتحير الشيعة في سائر الأمصار، واضطربوا في من يكون الإمام بعد أبي الحسن الثاني، وابنه أبو جعفر ابن ست سنين، ظناً من البعض أنّ من كان بهذه السن الصغيرة لا يمكنه تقلّد منصب الإمامة الخطير. إلا أن الإمام الجواد عليه السلام بدأ يمارس مهامه القيادية للأمة في توجهاتها الدينية والفكرية. فإنّ كُبر السن وصغره لا دخل لهما في تولّي منصب الإمامة الذي يتعيّن من قبل الله تبارك وتعالى، كما هو الحال في منصب النبوّة الذي يشاكله في كثير من خصوصيّاته.

وهكذا فقد شغل الصبي الوصي، والوريث الوحيد لأبيه الرضا عليه السلام منصب الإمامة منذ اللحظة التي توفي فيها الإمام الرضا عليه السلام. فما أن وافى نبأ شهادة الإمام أبي الحسن عليه السلام أهالي المدينة، حتى هرعوا إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام يعزّونه مصابه، ويشاركونه الأسى، وأخذت الوفود تقصده من بقية المناطق، وتتقاطر عليه مسلّمة ورافعة إليه التعازي، وهي منبهرة بإمامة ابن سبع سنين، خاصة وأنه عليه السلام كان يستهوي الجماهير وشيعته بحسن منطقه، ويستجلب انتباههم بإجاباته العلمية الدقيقة وما يحمله من علوم ومعارف، الأمر الذي لم يعهده أحد من قبل لا من الشيعة ولا من غيرهم؛ لذا فقد أضحى حديث أبي جعفر الثاني عليه السلام يطغى على الساحة، وأخذ حديث إمامته ونبوغه يسري شيئاً فشيئاً إلى مختلف أقطار الدولة الإسلامية، بعد أن أصبح حديث الناس عامة في مكة والمدينة وبغداد والكوفة.

وينتقل إلى سمع المأمون خبر الوفود التي أمّت دار الإمام في الموسم؛ لاستفتائه في المسائل الشرعية أو لتحويل الحقوق الشرعية إليه، أو لزيارته والتبرك بالنظر إليه والسلام عليه فقط. . كما أن وفاة الإمام الرضا عليه السلام لم يمض عليها وقت طويل. . وأصابع الاتهام ما زالت تشير إليه بقتل الإمام الرضا عليه السلام، فقد أصدر أوامره باستحضار أبي جعفر الجواد عليه السلام من المدينة إلى بغداد.

ومن خلال الروايات والنصوص التاريخية نستنتج أنّ للإمام الجواد عليه السلام ثلاث رحلات إلى بغداد ؛ الأولى في صباه يوم كان ابن سبع أو تسع سنين، بعد قدوم المأمون إليها، واستقراره بها؛ والثانية يوم استدعاه

المأمون العباسي أيضاً في القدوم عليه، وأمره بالدخول بابنته أم الفضل، وكان يومها في العشرين من عمره أو نحوها؛ والثالثة وهي الخاتمة لحياته، وكانت في عهد المعتصم في أوائل سنة (٢٢٠ هـ).

أما رواية إسماعيل بن مهران التي يرويها الكليني في الكافي بسنده عنه، والتي تحدّث فيها عن وجود رحلتين لأبي جعفر عليه السلام إلى بغداد، وهو عليه السلام أي إسماعيل - المحدِّث الثقة، المعتمد عليه، قال في روايته: لمّا خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه، قلت له - عند خروجه- : جُعلت فداك إني أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ فكرَّ بوجهه إليَّ ضاحكاً، وقال: (ليس حيث ظننت في هذه السنة). فلمّا أُخرج الثانية إلى المعتصم، صِرتُ إليه، فقلت له: جُعلت فداك، أنت خارج، فإلى من الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلّت لحيته، ثم التفت إليَّ فقال : (عند هذه يُخاف عليّ، الأمر بعدي إلى ابني عليّ).

علمه ومنزلته: هناك روايات كثيرة لمناظرات علمية جرت بين الإمام عليه السلام وبين جهابذة العلماء والقضاة والفقهاء وقد أثبت فيها عليه السلام بأنه حجة الله في الأرض، ولمن أرد الاطلاع فليراجع.

استشهاده عليه السلام: خرج -الجواد عليه السلام- من المدينة في المرّة الأخيرة، قال: (ما أطيبك يا طيبة، فلست بعائد إليك)، فقد أخبر أصحابه في السنة التي توفي فيها بأنه راحل عنهم هذا العام. وأنه قال في العشية التي توفي فيها: (إني ميت الليلة)، ثم قال: (نحن مَعْشرٌ إذا لم يرض الله لأحدنا الدنيا نقلنا إليه). وكان سبب وروده إلى بغداد إشخاص المعتصم له من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرم من سنة عشرين ومئتين، وتوفي بها في ذي القعدة من هذه السنة. وكان مدة بقائه في بغداد عشرة أشهر.

وقد وقع الخلاف في وفاة أبي جعفر الثاني عليه السلام كما وقع في ولادته؛ لكن الأشهر أن زوجته أم الفضل زينب بنت المأمون ـ وبأمر من المعتصم العباسي ـ هي التي سمّته في عنب قدمته له فأكل منه، وعلى إثره كانت شهادته عليه السلام في آخر ذي القعدة من سنة (٢٢٠هـ)، وعمره الشريف كان (٢٥سنة) و (٣ أشهر) وهو المشهور، وعليه أكثر من ترجم للإمام. ودفن في ظهر جدّه أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، في مقابر قريش ببغداد.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

نقل بتصرف من: (موسوعة المصطفى والعترة ج١٣/ الحاج حسين الشاكري)

إضاءات السيرة

سيرة النبي صلى الله عليه وآله وصفاته من القرآن الكريم

إعداد: باسم قاسم الدولة

ينابيع الرجوع إلى نفس القرآن واستخراج سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وصفاته وأفعاله من خلال آياته الكريمة، يمثل بعداً تاريخياً يواكب حياة النبي صلى الله عليه وآله ومراحل الدعوة الإسلامية، إنَّ تلكم الآيات تصلح أن تكون رداً حاسماً وقوياً على الموقف المنكر الذي يقفه المغرضون من المبشرين والمستشرقين من أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وفضائله إذ يتجاهلون أو يغفلون عن ما في القرآن من نصوص ويتمسكون بالروايات التي ربما بعضها تكون مخترعة أو مدسوسة أو مزورة.

وروى أهل السير والتاريخ عن الإمام الباقر عليه السلام أن (آمنة) أم النبي أُمرت في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وآله أن تسميه أحمد[١] وسماه جده محمداً[٢] بإلهام من الله تفاؤلاً بأن يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التي يحمد عليها وإلى ذلك يشير أبو طالب بمقولة:ـ

وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد[٣]

لقد كانت أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله مستمدة من القرآن الكريم.

التواضع:

(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (لقمان: ١٨)

إنَّ التواضع في البيت النبوي قد استمد من التوجيه القرآني العظيم. لذلك روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه واصفا النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقم البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعيى، ويشتري الشئ من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه، فينقلب إلى أهله، يصافح الغني والفقير، والصغير والكبير، ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير، أسود أو أحمر، حر أو عبد...)[٤].

لقد كان الصدق من صفات الرسول محمد صلى الله عليه وآله في الجاهلية والإسلام فقد كانت قريش تعرف محمداً صلى الله عليه وآله من قبل أن ينزل عليه الوحي بالصادق الأمين[٥] وحتى عندما بدأت الرسالة اعترفت قريش بصدقه قبل أن يتكلم عن رسالته.

(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) (الأحزاب: ٢٢).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩)

لقد أمر القرآن الكريم برد الأمانة

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ
١٤٠١

وامتدح هذا الأمر. فقال عزّوجلّ: (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**) (النساء: ٥٨)

وقد نهض الرسول محمدﷺ بتبليغ الرسالة التي ائتمنه الله عليها وكلفه أن يقوم بها فبلغها للناس أعظم تبليغ وقام بأدائها أعظم قيام واحتمل في سبيلها أشق ما يحمله بشر. وكثرت أحاديث الرسول محمدﷺ عن الأمانة ترغيباً وترهيباً منها.

قال رسول الله محمدﷺ قال الله تعالى: (ثلاثةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رجُلٌ أعطى بِي ثُمَّ غَدَرَ ورَجُلٌ باعَ حُرّا فأكَلَ ثَمَنُهُ ورجلٌ اسْتَأجَرَ أجيرا فاسْتَوْفَى مِنْهُ ولَمْ يُعْطِه أجْرَهُ)[٦].

والعدل والكرم المحمدي كان مضرب الأمثال.

(**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**) (سبأ:٣٩).

إن الزهد والمراد به في الدنيا وذلك بالرغبة عنها وعدم الرغبة فيها ولا يحول دون أداء واجب وسد باب الطمع في الإكثار منها والتزيد من متاعها وهو ما زاد على قدر الحاجة.

إن كمال خلق المرء حسن صحبته ومعاشرته لأهله وكمال أدبه في مخالطته لغيره. وقد كان الحبيب محمدﷺ مضرب المثل في حسن الصحبة وجميل المعاشرة وأدب المخالطة. إنه كان يصلي من الليل حتى تتفطر قدماه فإذا سئل في ذلك قال: (أفلا أكون عبداً)[٧] وقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[٨].

فالنبي محمدﷺ خاتم الأنبياء نبي الرحمة اتصف بكل تلك الصفات. الكرم والجود والسخاء والعطاء من العلم والمعرفة، وكما جاء في القرآن الكريم.

١ـ حرصه على هداية الناس

(**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**) (الشعراء: ٣).

(**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**) (الكهف: ٦).

٢ـ نبي الرحمة.

(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**) (الأنبياء:١٠٧)

٣ـ لينه مع الناس وخلوّه من الفضاضة والخشونة.

(**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**) (آل عمران: ١٥٩).

٤ـ أسفه من المواقف التي تصدر من المتعنتين والمعاندين.

(**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**) (التوبة: ١٢٨).

٥ـ صاحب الخلق العظيم.

(**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) (القلم:٤)

٦ـ إنه القدوة الكاملة.

(**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**) (الأحزاب: ٢١).

٧ـ يهدي إلى صراط المستقيم.

(**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**)

(الشورى: ٥٢).

٨- صبور على هداية الناس.

(وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل: ١٢٧)

٩- ما ينطق عن الهوى.

(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى) (النجم: ٣)

١٠- الشدة على الكفار.

(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (النجم: ٥)

١١- رحماء بينهم.

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الفتح: ٢٩).

١٢- النبي الأمي.

١٣- يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

١٤- يحل الطيبات ويحرم الخبائث.

١٥- التغيير للعادات في الجاهلية.

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: ١٥٧).

١٦- إنه غزير العلم.

(وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيما) (النساء: ١١٣)

١٧- يشدد على نفسه بالعبادة.

(طه، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (طه: ١)

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (المزمّل: ٢٠)

١٨- إن وجودهِ أمان للأمة من العذاب.

(وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال: ٣٣).

١٩- استغفاره للأمة مستجاب.

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً) (النساء: ٦٤).

٢٠- معصوم هو وأهل بيته أصحاب الكساء.

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ٣٣).

٢١ـ اللّه وملائكته يصلون عليه.
(إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (الأحزاب:٥٦).
٢٢ـ أنه أشجع الناس.
(إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (آل عمران:١٥٣)
٢٣ـ إنه صاحب الكوثر.
(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) (الكوثر: ١، ٢، ٣)
٢٤ـ أول العابدين.
(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) (الزخرف: ٨١).
٢٥ـ أولى بالمؤمنين من أنفسهم.
٢٦ـ أزواجه أمهاتهم.
(النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً) (الأحزاب: ٦).
٢٧ـ إنه بشر يوحى إليه.
(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (الكهف: ١١٠).
٢٨ـ إنه شهيد على الشهداء.
(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا من كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاَءِ شَهِيداً) (النساء: ٤١)
٢٩ـ عبد اللّه.
(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً) (الجن:١٩).
٣٠ـ رسول مبين.
(أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ) (الدخان:١٣).
٣١ـ السراج للعالم.
(وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً) (الأحزاب:٤٦).
٣٢ـ إنه برهان.
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً) (النساء: ١٧٤)
٣٣ـ إنه يتيم.
(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) (الضحى:٦).
٣٤ـ مؤدب من قبل اللّه.
٣٥ـ العفو عن الآخرين.
٣٦ـ الأمر بالمعروف.
٣٧ـ الإعراض عن الجاهلين
(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف: ١٩٩)

المصادر:

١ـ الطبقات الكبرى/ابن سعد/ج١ص٩٨.
٢ـ الثقات/ابن حبان/ج١ص٤٢.
٣ـ فتح الباري/ابن حجر/ج٦ص٤٠٤.
٤ـ بحار الأنوار/المجلسي/ج٧٠ص٢٠٨.
٥ـ الاصابة/ابن حجر/ج١ص٣.
٦ـ عمدة القاري/العيني/ج١٢ص٨٩.
٧ـ الأمالي/الشيخ الطوسي/ص٦٣٧.
٨ـ جامع السعادات/النراقي/ج٣ص١٠٦.

رسائل خالدة :

بين أمير المؤمنين عليه السلام ومالك الأشتر

لما فسدت مصر على محمد بن أبي بكر رحمه الله، كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتابًا إلى مالك بن الحارث الأشتر رحمه الله وهو عامله على الجزيرة (وهو يومئذ بنصيبين): (أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به الثغر المخوف، و[قد] كنت وليت محمدا بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء، فأقدم علي لننظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام.

فأقبل مالك حتى دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فحدثه حديث أهل مصر، وقال له: (ليس لها غيرك، أخرج رحمك الله إلى مصر، فاني إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمك، فأخلط الشدة باللين، وأرفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة).

فخرج الأشتر رحمه الله وأتى رحله وتهيأ للخروج إلى مصر، وكتب أمير المؤمنين عليه السلام معه إلى أهل مصر بالكتاب التالي: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه – سلام عليكم – فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا نابي الضريبة ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم الله بالهدى، وثبتكم على اليقين، والسلام).

(نهج السعادة / الشيخ المحمودي/ ج ٥ ص ٤٩ - ٥١)

إضاءات السيرة

سيرة الإمام السجاد عليه السلام في نشر العلوم الإسلامية

بقلم الشيخ جميل الربيعي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

لقد أجمعت الأمة الإسلامية بكل مذاهبها وفصائلها على أعلمية أهل البيت عليهم السلام في جميع ميادين المعرفة وفروعها إلا المكابرين الذين ختم الله على قلوبهم.

فالميزة الأساسية التي تميز بها أهل بيت العصمة عليهم السلام هي السمو العلمي؛ ولهذا لم يعرف التاريخ أنَّ أحداً من أئمة أهل البيت عليهم السلام جلس تحت منبر عالم تعلم منه، وإنما ورثوا العلم كابراً عن كابر إلى أن يصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وبهذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تعلموهم فهم أعلم منكم)[١].

ولم يكن علمهم هذا مجرد رأي رأوه، أو فكرة خطرت على أذهانهم فطرحوها على الناس، أو درس تلقوه من عالم، إنما هو علمٌ تلقوه من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله جل جلاله، يقول الإمام الباقر عليه السلام لجابر الانصاري رضي الله عنه: (يا جابر لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنَّا من الهالكين، ولكنَّا نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وأصول علم عندنا نتوارثها كابراً عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا إلا ما قال ربُّنا)[٣].

وسأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن مسألة، فأجابه فيها، فقال الرجل: (إن كان كذا، وكذا ما كان القول فيها، فقال له: مهما أجبتك فيه لشيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله لسنا نقول برأينا من شيء)[٤].

وفي حديث آخر عن فضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: (إنَّا على بينة من ربِّنا، بيَّنَها لنبيِّه فبيَّنَها نبيُّهُ لنا، فلولاً ذلك كنا كهؤلاء الناس)[٥].

وهكذا كانوا يؤكدون إنَّ كلَّ ما عندهم، وما يدلون به من فصول العلم والمعرفة هو ممَّا ورثوه من رسول الله صلى الله عليه وآله في الكتاب والسنة، وجميل ما قاله الشاعر الشيخ البهائي:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً
وتعرف صدق الناس في نقل أخبار
فدع عنك قول الشافعي ومالك
واحمد المروى عن كعب أحبار
ووالِ أناساً قولهم وحديثهم
روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

ولعلَّ هذا الأمر بما له من دور مهم في ربط الأمة بنبيها كان أئمة الهدى عليهم السلام يؤكدون عليه، وهو ما قلناه أن الإمام السجاد عليه السلام يحاول أن يرجع الأمة إلى مسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته وسيرته؛ ولهذا نجد الإمام الرضا عليه السلام وحشود

عليه السلام
السجاد
يا علي بن الحسين

العلماء تستقبله في نيشابور - حين استقدمه المأمون إلى خراسان - نستمع منه حديثاً واحداً عن رسول الله ﷺ وإذا بالإمام يخرج رأسه من العمارية[٦] ويقول: (سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله جل جلاله يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي)[٧].

ومن هنا يتبين أهمية ذلك لإعادة الأمة إلى المنبع الصافي المرتبط بالوحي الإلهي، والإمام السجاد عليه السلام خريج هذه المدرسة الإلهية، أبهر عقول العلماء فضلاً عن بقية الناس بما يملك من فيض علمي وافر، ولهذا قال عنه علماء العصر:

١- محمد بن شهاب الزهري: (ما رأيت هاشمياً قط أفضل من علي بن حسين، وهو أبو الحسينيين كلهم)[٨].

ويقول: (ما رأيتُ قرشيّاً أورع منه، ولا أفضل)[٩].

٢- سفيان بن عيينة: (ما رأيت هاشميا أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه)[١٠].

٣- الشافعي: (هو أفقه أهل المدينة)[١١].

٤- وحتى ملوك عصره صرحوا بذلك، يقول عبد الملك بن مروان للإمام عليه السلام: (أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤتَه أحد مثلك، ولا قبلك إلا من مضى من سلفك)[١٢].

٥- ويقول ابن سعد في طبقاته: (كان علي بن حسين ثقةً، مأموناً، كثيرَ الحديث، عالياً، رفيعاً، ورعاً)[١٣].

٦- يقول الشيخ المفيد: (وقد روى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا تحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية، وفضائل القرآن، والحلال والحرام، والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء، ولو قصدنا إلى شرح ذلك لطال به الخطاب وتقضى به الزمان)[١٤].

(وبرز على الصعيد العلمي والديني إماماً في الدين، ومناراً في العلم، ومرجعاً في الحلال والحرام، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، وآمن المسلمون جميعاً بعلمه، واستقامته، وأفضليته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته)[١٥].

لقد كان الإمام السجاد عليه السلام عَلَماً يؤمه الناس من مختلف بقاع المعمورة حين بدأ يبث العلوم الإسلامية في حلقة (من البحث والدرس في مسجد الرسول ﷺ يحدث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه، ويفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين، ويمرن النابهين منهم على التفقه والاستنباط، وقد تخرَّج من هذه الحلقة عدد مهم من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه والأساس لحركته الناشطة.

وقد استقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القراء، وحملة الكتاب والسنة حتى قال سعيد بن المسيب: (إنَّ القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب)[١٦].

وهكذا كان العلماء والفقهاء يتخرجون

في هذه المدرسة الإلهية التي راحت تبث علوم الإسلام في الآفاق الإسلامية حتى طار صيتها، فصارت تمزق أستار الظلام رغم كل العوائق والسدود التي ضربها بنو أمية، وسخروا كل ما يملكون من قدرات ماديةٍ وبشرية لإطفاء نور الله تعالى (**وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**)(التوبة:٣٢).

ولا غرابة إذا قلنا: إن الإمام السجاد عليه السلام هو الذي وضع الحجر الأساس للجامعة الإسلامية الكبرى التي واصل بناءها ولده الباقر وحفيده الصادق عليهما السلام.

أقول: وضع الحجر الأساس بما حمل من علوم آبائه الطاهرين، والتي حاول تيار الظلام الأموي إخفاءها ودفنها إلى الأبد، وإبعاد الأمة عن هذا المنبع الفياض، بل حاول الأمويون، وأحزابهم تجفيف هذا البحر الزاخر ليعيدوا البشرية إلى جاهليتها إلا أنَّ حكمةَ الإمام السجاد عليه السلام، وحركيته، وفاعليته في أحلك الظروف، وأصعب المواقف استطاع أن يبث النور الإلهي ويوصل رسالة الله إلى عباده، يقول الشيخ محمد حسن آل ياسين قدس سره: (وحسبنا في تصور هذه الحقيقة، ثم إدراكها، وتصديقها بما لا يقبل الشك أو التردد أن نعلم أنَّ الرواة عن الإمام من طلاب العلم والباحثين من جمهور المسلمين على اختلاف منازعهم ومذاهبهم قد بلغوا المئات، الأمر الذي يدل بقناعة ويقين على أنَّه كان المنهل الرويَّ، والغديرَ العذبَ الذي يجد فيه الظامئون ما يحقق رغبتهم في الإطلاع على مسائل الدين، وعلوم القرآن، وأسرار الشريعة، وأبواب المعرفة في مجمل منطلقاتها الإنسانية الواسعة)[١٧].

وقد أحصى هذا الشيخ الجليل من روى عن الإمام السجاد عليه السلام ١٨٨ راوياً من علومه في مجال تربية الدعاة العلماء، والفقهاء البصراء، ليحملوا رسالة الله تعالى إلى المجتمع البشري أينما حلّوا وأينما ارتحلوا.

والمجال الآخر الذي سلكه الإمام السجاد عليه السلام هو مجال التأليف ولا سيما في مجال الأدعية التي جسد فيها أسمى المعاني الروحية والأخلاقية والاجتماعية، بل وحتى السياسية بأسلوب رائع رصين يأخذ بمجامع القلوب، ويفتحها على الله، لتشعر برقابته، ورعايته، وتستمد منه فيض الرحمة والرضوان، بل إنَّ الإمامَ السجاد عليه السلام فتح بصيرة الإنسان على ما في نفسه من أسرار إلهية، وما يعرضها للهلاك والبوار من أمراض القلوب وحدد لها العلاج.

كما رسم من خلال تلك الأدعية قواعد العلاقات البشرية وما تتطلبه من معلومات، وما يكدر صفوها من عوائق، ولهذا يمكن القول بضرس قاطع: إنَّ الصحيفةَ السجاديةَ بما تحمل من أبعاد روحية، ونفسية، وأخلاقية، لم تدع مجالاً معرفياً إلا وأشارت إليه، ولكن ومع شديد الأسف نرى إهمالاً لهذا السفر الإلهي رغم الشروح التي طرحت على الساحة الفكرية، وقد أحصاها المحقق الفذ (علي أنصاريان) فبلغت سبعين شرحاً لهذه الصحيفة المباركة ثم إنَّه جزاه الله خير جزاء المحسنين وضع فهرساً موضوعياً لهذه الصحيفة وطرح من خلالها تسعة عشر باباً، ووضع تحت كلِّ بابٍ ما تضمنته الصحيفة السجادية من موضوعات عقائدية،وأخلاقية، وسياسية، بل وعسكرية بلغت أكثر من مائتي عنوان له مساس بحياة المجتمع البشري فرداً

ومجتمعاً ودولةً.

هذا في الصحيفة السجادية الأولى ولم تضم كلّ أدعية الإمام عليه السلام ومناجاته فاستدرك العلماء فيما بعد على هذه الصحيفة الشريفة صحفاً أخرى ذكرها السيد محسن الأمين قدس سره في كتابه (أعيان الشيعة) الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، إضافةً إلى أدعية الأيام والمناجاة الخمسة عشر والتي يتضمن كل دعاء فيها مفاهيم روحية عالية، وأخلاقية سامية، وفكرية رائدة...

ولكنَّ السؤال الذي يفرض نفسه لماذا طفحت حياة الإمام السجاد عليه السلام بالدعاء أكثر من غيره من الأئمة الطاهرين عليهم السلام؟

واختلفت أجوبة العلماء والكتاب في ذلك، فبين مُشَرّق ومُغَرّب، ولم يصب الأكثر منهم عين الحقيقة، فقد ذهب البعض منهم أنَّ أدعيةَ الإمام كان إطارُها سياسياً وهو نوع من أنواع المقاومة السلمية للسلطات الأموية، وذهب آخرون أنَّ الإمام عليه السلام أراد أن يوصل المفاهيم والمعارف الإسلامية إلى الناس بصورة غير مباشرة لأنَّه كان محاصراً ولا يستطيع أن يصرح بطرح المفاهيم والأفكار الإسلامية الحساسة على أعواد المنابر وفي حلقات الدروس.

وذهب السيد محمد باقر الصدر قدس سره إلى أنَّ الإمام السجاد عليه السلام أراد (أن ينشر من خلال الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات وشده إلى ربه حينما تجره الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية لكي يظل أميناً عليها في عصر الغنى والثروة كما كان أميناً عليها وهو يشد حجر المجاعة على بطنه)[١٨].

ونحن مع تحفظنا على كل ما طرح من تفسير لهذه الظاهرة الإلهية في شخصية الإمام إلا أنَّنا لا ننكر الآثار الإيجابية التي تركتها تلك الأدعية في نفوس الناس وواقعهم وأثرت تأثيراً كبيراً لتغير الواقع ولا زال تأثيرها جارياً، وهي كما وصفها أديب رسالي: (إنَّها لمن معجزات هذا الإمام عليه السلام أن يصهر العلم والأدب وهموم الفرد والأمة ومشاكل الإسلام وما يعانيه في بوتقة ثم يصوغ منها نصوصاً فريدة في صيغة دعاء لا يبعد عن روحانية السماء ولا ينسلخ عن حاجات الأرض)[١٩].

إلا أنَّنا ننكر أنَّ الإمام السجاد عليه السلام كان إذا انصرف إلى الدعاء والمناجاة كانت غايته إسماع الناس وإيصال المفاهيم العالية إليهم؛ وذلك لأنَّ الإمامَ السجاد عليه السلام كما عرف عنه في جميع الأوساط أنَّه كان إذا توجه إلى وضوئه، ومحرابه تغير لونه، وارتعش خوفاً من الله كما يروي المؤرخون، وإنَّه عندما يحرم للحج ويريد أنْ يلبي يغشى عليه ويسقط إلى الأرض، فأين تكون هذه الضمائم الاجتماعية والدعوية والذي اعتقده والله العالم أنَّ الإمام السجاد عليه السلام ذاب في حبِّ الله عزوجل، ومأنسُه الوحيد هو الذكر والدعاء،حتى صار هذا الحال غالباً عليه في أحواله كلها لا يفارقه ولا لحظة واحدة.

ومن خلال هذه الحالة نستنتج أنَّ الإمامَ عليه السلام تحولت حياته إلى ذكر متواصل، وعبادة مستمرة واستحضار في ساحة القدس، ولا شك أنَّ هذه الحالة سوف تشيع جواً روحياً، ووهجاً

إلهياً، يشغل النفوس ويوجهها إلى بارئها، وإن لم يقصد الإمام ذلك، وهو قطعاً لا يقصد هداية الناس وإرشادهم بالدعاء لأنَّه عندما يناجي ربه لا يفكر إلا برحمة الله ويستشعر بلذة الإقبال، بل التفاني في حب الله، وجميل ما قاله السيد الخميني قدس سره في تفسير هذه الظاهرة: (والأمر في ذلك فوق ما نتصوره، فهم بين يديّ عظمة الحق، فانون من أنفسهم، لا يرون غيره تعالى، وفي تلك الحال ليس هناك كلام أو ذكر أو فكر، وليس هناك ذات. وهذه الأدعية الكريمة والمناجاة إنما صدرت منهم في حال الصحو قبل المحو أو بعد المحو)[٢٠].

ويقول قدس سره: (تفكر قليلاً في حالة علي بن الحسين عليه السلام وأدعيته الرقيقة التي تعلم عباد الله آداب العبودية، ولست أقصد من قولي هذا أنَّ مناجاة هؤلاء العظام كانت تهدف تعليم العباد، فهذا كلام فارغ وقول باطل لا ينتج إلا عن الجهل بمقام الربوبية ومعارف أهل البيت، فقد كانوا عليهم السلام أكثر الجميع خوفاً وخشية من الحق تعالى، إذ أن عظمة الحق وجلاله تجلت في قلوبهم بما يفوق ما يتجلى منهما على أيِّ قلب)[٢١].

وإضافة إلى الأدعية المباركة التي صدرت عنه عليه السلام فقد كان يكتب لأصحابه وشيعته ومريديه رسائلَ يطرح فيها ما يحتاجه الناس من مفاهيم وأفكار وأحكام وعقائد ومعالجات فكرية وسياسية واجتماعية كما طرح ذلك في رسالة الحقوق والتي عُدَّت أعظم وثيقة إنسانية تجلت فيها كل حقوق الإنسان ما له وما عليه وما يجب أن يسلكه في حياته من مسالك رشيدة تسعده في الدنيا والآخرة ■

---

١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي: ٢٨٧/١.
٢) محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات: ٣٢٠.
٣) المصدر نفسه.
٤) المصدر نفسه: ٣٢٠-٣٢١.
٥) المصدر نفسه: ٣٢١.
٦) العمارية: هودج يجلس فيه.
٧) الشيخ الصدوق، الأمالي: ٣٠٦.
٨) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٢٣٥.
٩) ابن كثير، البداية والنهاية: ١٢٢/٩.
١٠) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٢٩٧/٣.
١١) رسائل الجاحظ: ١٠٦.
١٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ٥٧/٤٦.
١٣) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى: ٢٢٢/٥.
١٤) الشيخ المفيد، الإرشاد: ٢٦٠-٢٦١.
١٥) من مقدمة للصحيفة السجادية/ السيد محمد باقر الصدر.
١٦) المصدر نفسه.
١٧) الشيخ محمد حسن آل ياسين، الأئمة الإثنا عشر سيرة وتاريخ: ٢٩٣/١.
١٨) من مقدمة الصحيفة السجادية/السيد محمد باقر الصدر.
١٩) شرح رسالة الحقوق: ١٠/السيد طاهر عيسى درويش.
٢٠) الإمام الخميني، المظاهر الرحمانية: ٨٧.
٢١) الإمام الخميني، آداب الصلاة: ٢٣٨-٢٣٩.

للفضيلة نجومها

الشيخ أبو الحسن الخنيزي (١٢٩١ـ ١٣٦٢) ورؤيته في الوحدة الإسلامية

الشيخ عبد اللطيف جعفر العلي
باحث وكاتب إسلامي

ينابيع

كثير من المصلحين لم ينصفهم التاريخ، بل لم ينصفهم ناسهم ومواليهم والمحسوبون عليهم، منهم ذلك المصلح الإسلامي الشيخ (علي أبو الحسن الخنيزي)، أحد كبار أعلام نجد والحجاز، وباعث النهضة العلمية في المنطقة الشرقية (القطيف).

اسمه:

الشيخ علي أبو الحسن بن الحاج حسن بن مهدي الخنيزي. والشيخ أبو الحسن الخنيزي صاحب كتاب: (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية).

مولده:

ولد في القطيف في رجب سنة ١٢٩١هـ.

والده وأسرته:

كان والده الحاج حسن، على جانب من التدين فكانت تجرى عنده بعض المعاملات والعقود الشرعية، حيث إن البلاد كانت آنذاك خالية من العلماء فكان أبناء الشعب يوقفون على يديه بعض الأوقاف وربما جعلوا ولاية بعضها له وكانت جميع حجج المبيعات، والمشريات متوجة بشهادته. وآل الخنيزي: أسرة عربية عريقة... كانت تسكن البحرين ثم نزحت عنها إلى القطيف، منذ أمد بعيد[1].

منزلته:

كان الشيخ الخنيزي من دعاة الوحدة الإسلامية، وقد بذل جهودا كبيرة في

سبيلها، إلا انه لم ينصفه الكتاب والباحثون فيمن كتبوا وبحثوا في مسألة الوحدة الإسلامية والحوار الإسلامي، وحينما يذكر، فانما يذكر ذكرا مسترسلا وبالاشارة الخاطفة ولم تسلط الأضواء على جهوده وجهاده، فمثلا يذكره صاحب كتاب (الفكر السياسي الإسلامي المعاصر) ذكرا ضمنيا سريعا، بقوله: (الموضوعات الأساسية للردود والاعتراضات بين العلامة الحلي وابن تيمية في القرن السادس الهجري، تجددت في المائة سنة الأخيرة في هجوم رشيد رضا وأحمد أمين وعبدالله القاسمي، وردود عبد الحسين الأميني ومحمد حسين كاشف الغطاء وأبي الحسن الخنيزي وشرف الدين العاملي الموسوي من جانب الشيعة)[٢].

ومن خلال هذه الاشارة الخاطفة يتبين ان الشيخ الخنيزي كان من أعلام المصلحين ودعاة الوحدة الإسلامية أمثال: الأميني، وكاشف الغطاء، وشرف الدين.

والحقيقة إن الإهمال والتجاهل لرجالات القطيف عم الجميع دون استثناء ومنهم شيخنا الخنيزي، فقد قال صاحب كتاب (وسيلة المبتدئين إلى عبائر المنطقيين) حول هذا الموضوع: (لعل التاريخ لم يسيء لشعب قدر أن يسيء لهذه البقعة الطيبة المباركة الخصبة بالعلم والخير والصلاح فقد أهملها أهمالاً كلياً، وارتكب في إغفالها جناية لا تغفرها له الأقلام. فأنت إذا رحت تفتش في المؤلفات الضخمة والموسوعات التاريخية التي وضعت للبحث عن الشعوب العربية وما أكثرها، فإذا أمعنت النظر أخالك لا تعثر على اسم القطيف ولا تكاد تظفر بنبأ يسرك عنه، وإذا عثرت على شيء فهو لا يروي الغليل، وربما هاج كامن حزنك

واستثار شجونك، فماذا تقول والحديث ذو شجون ولكنها الدنيا، ولكنه القضا). وأضاف: (ما أصلف التاريخ وما أظلمه أذ يهمل هذه البقعة الزكية التي أنجبت أبطالاً لهم مكانتهم ومنزلتهم في عالم الواقع والحقائق، في حين أنه قد احتفى بكثير من الشعوب الخاملة التي لو أعطى التاريخ من نفسه النصف لكانت أحرى بهذا الإهمال والإغفال. والقطيف ليست من المدن الخاملة حتى أعرض التاريخ عنها صفحاً ولم يعتن بآثارها، فان لها ماضياً مجيداً وألواحاً ناصعة متلألئة لو عني التاريخ فيها بعض عنايته لكانت صفحات مشرقة. ولو فتشها بتمحيص ودقة لظهرت فيها كنوز ربما لا يحصل مثلها في معظم المدن ذات الشأن، وظني أن الباحث إذا حاول بعض المحاولة تتكشف له بسهولة وتظهر له دونما جهد)[٣].

أحواله: (حج سنة ١٣١٣هـ على طريق البحر ثم زار المدينة المنورة وفي السنة التي تلتها كانت هجرته إلى النجف مصحوبا بأبيه ثم عاد والده إلى القطيف ولم يلبث أن توفي سنة ١٣١٦هـ، وعندما توفي والده رجع إلى وطنه حيث مكث فيه ستة أشهر عاد بعدها إلى النجف لينكب على الدراسة والتحصيل العلمي على كبار علماء عصره حتى نال درجة الاجتهاد. وفي خلال هذه الفترة زار مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

وفي شهر رجب من عام ١٣٢٩هـ عاد إلى وطنه واشتغل بحياته العلمية باذلا نفسه في الخدمة الدينية والوطنية، عاقدا حلقات الدرس لعدد من الطلبة في بلده، حتى عقد دروس البحث الخارج سنة ١٣٤٣هـ في مسجده الكبير، إذ يجتمع حوله عدد غير قليل من الطلاب والفضلاء فأفاد جمعا غفيرا من أولئك غير أن ذلك البحث لم يستمر طويلا ،فانقطع بعد سنتين من صدوره. ومما يؤثر عنه أنه كان يخرج إلى القرى والأرياف فيفقه الناس ويوجههم)[٤].

أساتذته:

قرأ المقدمات على أساتذة من وطنه وهم : الشيخ محمد علي النهاس. والشيخ عبد الله الشيخ ناصر آل نصر الله. وابنه الشيخ علي آل نصر الله. والشيخ حسين والشيخ محمد علي آل عبد الجبار. والشيخ منصور الجشي.

أما دروسه في النجف فقد حضر دروس الشيخ هادي الهمداني والشيخ محمد طه نجف والسيد أبو تراب الخوانساري والشيخ فتح الله الأصفهاني الشهير بشيخ الشريعة ثم انقطع إلى بحث الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية.

تلاميذه:

منهم الشيخ علي الجشي والشيخ محمد علي الجشي، والشيخ منصور آل سيف وغيرهم.

مؤلفاته:

له عدد من المؤلفات إضافة إلى كتابه (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية)، ومنها :

١- روضة المسائل.

٢- قبسة العجلان في معنى الكفر والإيمان.

٤ - الخلسة من الزمن في معنى التسامح في أدلة السنن.

٥- مقدمة في أصول الدين.

٦- دلائل الأحكام، وهو شرح مهم على الشرائع.

٨ - الحاشية على كتاب إحقاق الحق.

٩ - الرسالة الشكية، وهي مختصرة من

رسالته الكبرى.

١٠ - رسالة عملية صغرى.

١٢ - صراع الحق في مجلدين كبيرين، وله تعاليق كثيرة وحواش عديدة غير متحدة الموضوع، بل متفرقة، حسب المناسبة، ولو جمعت لكانت كتابا نفيسا[٥].

مع كتابه: (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية).

هذا الكتاب هو آخر سهم في كنانة الشيخ الخنيزي فهو آخر مؤلفاته إذ لم يمهله القدر بعده، فما أن أكمله حتى عاجله المنون فكأنه وصيته الأخيرة لمجتمعه وأمته..

فالكتاب يقع في مجلدين وبلغت صفحاته (٩٥٠) صفحة من القطع الكبير، وقد صدر عن دار الفكر في بيروت سنة ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦م، وفيه يبين الشيخ الخنيزي رؤيته في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، والحوار الإسلامي.

وقد جاء في تعريفه للكتاب بأنه: (معول يهد من الطائفية البغيضة: أسسها المنهارة، ويدعو للوحدة والتآلف، دعوة تتمثل هذه الآية الكريمة: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)** (النحل: ١٢٥).

وقد نال الكتاب إعجاب وتقييم كل من اطلع عليه، وهذا الشيخ محمد جواد مغنية في تقديمه الكتاب يقول: (نجد فيه الحقيقة والهدوء، والإخلاص والإنصاف، وما إلى هذه الصفات، التي يتجلى بها العالم القدير والمجتهد الكبير)[٦].

رؤية ومنهج الشيخ الخنيزي في الحوار الإسلامي:

* يرى الشيخ أن الحوار هو الحل الامثل والمنهج السليم في حل الإشكالات والمشاكل ،وهو الطريق إلى الإعتراف بالآخر والتعايش معه.

* يرىﷺ أن الميل مع الدليل أينما مال، والوقوف على البرهان أينما وقف، والتمسك بالحجة البينة الدامغة، فكتاباته كتابات استدلالية يجتهد فيها بالدليل وإلى الدليل لا تأخذه مصلحة أو عاطفة أو عصبية.

وفي ذلك قال عضو المجمع العلمي العربي (الشيخ سليمان ظاهر): (تنم مؤلفاته الكثيرة عن: علم جم، وفكر نير بعيد النظر، وخلق كريم، إن جادل فبالتي هي أحسن، أو قارع الخصوم فببالغ الحجة، وواضح البرهان، ورائده تحرير الحق من رق الباطل، وغايته القصوى، وهدفه الأسمى في كل ما خبر وحرر في حياته، وما أخرج من المطبوعات من محض للتقارب الإسلامي، وتوحيد كلمة التوحيد، في عصر يحيق الخطر على الإسلام)[٧].

* ويرىﷺ أنه لبلوغ الوحدة بين المسلمين فلابد من إلغاء التفرقة المذهبية، وفي ذلك يقول: (لا يكون النظم والاجتماع والالتئام، إلا بإلغاء التفرقة المذهبية، فلا سنية، ولا شيعية، ولا خارجية، ولا معتزلية، ولا أشعرية فيكون الناظم لهذا العقد، الذي تفرقت خرزه، والجامع لهذا الشمل المنصدع، التصدعات المتفاقمة، هو الدين الإسلامي: لا إله الا الله محمد رسول الله. فهناك تحصل القوة الرابطة، والنشاط الجامع، وتصفو داخلية الإسلام،

ويطيب هواؤه، وتنقى جوانبه، وتعود له الروح التي فيه أيامه..)[٨].

* التجرد والتحرر من كل أنواع العصبية، اجتماعية كانت أم تاريخية أم عقائدية، وبذلك يقول: (..... لمن طلب حق اليقين من أي فرقة كان من المسلمين أو غير المسلمين خلعت فيها ربقة التعصب والعناد، ونزعت فيها حلة مذهب الآباء والأجداد، وسلكت طريق الإنصاف والأقتصاد فأرجو ممن وقف عليها النظر بعين الإنصاف والألطاف لا بعين التعصب والأعتساف، ولا بلحاظ مذهب المتقدمين والأسلاف)[٩].

* ثم يختم منهجه الإصلاحي بالتسامح مع الآخر وإن اختلف معنا في الرأي، فقد كان رحمه الله، معروفاً بالتسامح والتودد وسعة الصدر.. في بيئة هي أشد ما تكون في حاجة اليها.

وفاته:

قام الشيخ علي الخنيزي بوظائفه الشرعية على أكمل الوجوه، وأتمها.. كما إستلم منصب القضاء الجعفري - بالرغم من تقلبات الأحوال - حتى وفاته، في ليلة الثلاثاء الثالث من صفر، سنة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م، توفي هذا العلم العالم العامل، في البحرين، ثم نقل جثمانه إلى القطيف، بوصية منه، ودفن في مقبرة الحباكة رحمة الله عليه■

---

١) أعيان الشيعة/الأمين/ج٨ص٢٩٥.
٢) الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، حميد عنايت، ص ٦٧.
٣) وسيلة المبتدئين الى عبائر المنطقيين/الشيخ حسن علي البدر.
٤) أعيان الشيعة/ الأمين/ ج٨ ص٢٩٥.
٥) م. ن.
٦) الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية. ج١.
٧) م.ن. ج٢
٨) م.ن. ج١، ص٢٢٥.
٩) روضة المسائل في أثبات أصول الدين بالدلائل. الشيخ علي الخنيزي، ص٢.

فضل العلماء

* عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، قال حدثني أبي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (أشد من يتم اليتيم الذي انقطع من أمه وأبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى).

* وعنه عليه السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضئ لجميع أهل العرصات، وحلة لا تقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد ((يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان)) فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيرا، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلا، أو أوضح له عن شبهة. (الاحتجاج/ الشيخ الطبرسي / ج١ص٧)

للفضيلة نجومها

أبو أيوب الأنصاري مضيّف رسول اللّه في هجرته

إعداد : محمد علي جعفر
كاتب وباحث اسلامي

ينابيع هو: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، من بني النجار. صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام أنصاري خزرجي، سيد معظم من سادات الأنصار مخلص، شهد مع النبي محمد ﷺ جميع حروبه[١] وقضى عمره مجاهداً في سبيل الله وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام جميع حروبه[٢] وغزا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام حتى مات غازيا في بلاد الروم. وكان شاعرا مجيدا. وامتاز بأنه صاحب منزل رسول الله ﷺ يوم الهجرة، فلم يزل عنده النبي ﷺ حتى بنى مسجده ومسكنه، فقد جاءه اثنان من الصحابة وقالا له :يا أبا أيوب إن الله عزوجل أكرمك بنبيه إذ أوحى إلى راحلته فنزلت على بابك، وكان رسول الله ﷺ ضيفا لك، فضيلة من الله فضلك بها)[٣] وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير[٤]. شهد العقبة، وبدرا، وأحدا، والخندق، وسائر المشاهد، وكان شجاعا صابرا تقيا محبا للغزو والجهاد وكان يقول: (قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا)[٥].

منزلته وتكريمه:

حين هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى يثرب مكث في قبيلة بني عامر بقبا ينتظر قدوم ابن عمه علي بن أبى طالب عليه السلام بالفواطم، ودخل ﷺ يثرب محطته المقصودة لهجرته الميمونة[٦].

سار رسول الله ﷺ وسط الجموع التي هرعت لاستقباله، والتي اضطرمت

وتزاحمت صفوفها وأفئدتها حماسة وشوقا للنظر إلى طلعته البهية، ممتطيا ظهر ناقته التي تزاحم الناس حول زمامها كل يريد التشرف باستضافته. وبلغ الموكب دور بني سالم بن عوف، فاعترضوا طريق الناقة قائلين: (يا رسول الله، أقم عندنا، فلدينا العدد والعدة والمنعة) ويجيبهم الرسول الكريمﷺ وقد قبضوا بأيديهم على زمام الناقة:

(خلوا سبيلها فإنها مأمورة)[٧] ويقصد اتركوا زمام الناقة، فإنها مسيرة إلى المكان الذي اختاره الله.

لقد ترك النبيﷺ للمقادير الالهية اختيار مكان نزوله، وترك زمام ناقته وأرسلها، فلا يلوى عنقها، ولا يستوقف خطاها، وتوجه إلى الله بقلبه، وابتهل بلسانه، قائلا:

(اللهم خر لي، واختر لي)[٨] أي اجعل أمري خيرا وألهمني فعله، واختر لي الأصلح.

والناقة تهف في المسير حتى دخلت المدينة فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فانقطعت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبيﷺ.

وظهر من هذه الرواية حكمة نزولهﷺ عند أبي أيوب دون غيره وهو كونه أفقر رجل في المدينة وفي ذلك حكم كثيرة يدركها كل ذي رأي.

وتقدم سعيد الحظ خالد بن زيد -أبو أيوب الأنصاري- مهرولا مستبشرا بهذا الفخر، ورفع أثقال الرسولﷺ وأمتعته وأدخلها إلى داره.

لا يفوتنا أن نذكر، أن هذا لم يكن أول لقاء لأبي أيوب مع النبي الكريمﷺ، بل سبقه لقاء في العقبة الثانية حينما خرج مع وفد يثرب البالغ عددهم سبعين رجلا من الانصار، لمبايعة الرسول العظيمﷺ في مكة(بيعة العقبة الثانية) والذين شدوا أيديهم على يمين الرسول ﷺ مبايعين له ومناصرين، ومانعين إياه وعن دينهم ما يمنعون به عن أهليهم. ولقد شرف رسول اللهﷺ يثرب وأهلها، باتخاذها مستقرا له وعاصمة لدين الله، وخص منهم دار أبي أيوب الأنصاري لتكون أول دار سكنها المهاجر العظيم والرسول الكريم ﷺ.

لقد آثر الرسول الكريمﷺ أن ينزل في دورها الأول، ولكن ما كاد أبو أيوب يصعد إلى غرفته في الدور العلوي حتى أخذته الرجفة والرهبة وتصور كيف يسمح لنفسه قائما أو نائما في مكان يعلو من المكان الذي يسكن فيه رسول العظمة وينام ؟ نزل وأخذ يلح ويتوسل بالنبي ﷺ ويرجوه ويقول: (يا رسول الله، لا ينبغي أن نكون فوقك، ينبغي أن ننقل أمتعتك. تنتقل إلى الطابق العلوي ليستريح ضميري)[٩]، فاستجاب ﷺ لرغبته ورجائه وأمر أن تنقل أمتعته إلى الطابق العلوي.

ومكث النبي عنده فترة من الزمن ريثما يتم بناء المسجد، وبجواره بنى مساكنه ثم انتقل إلى مسكنه. وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير يوم المؤاخاة الأولى، كما سمى يثرب، وبدل اسمها إلى (المدينة المنورة)، وسماها المسلمون مدينة الرسولﷺ.

مواقفه:

ومنذ أن بدأت قريش تتنمر على الإسلام وتشن غاراتها على دار الهجرة بالمدينة، وتؤلب القبائل وتتحالف مع مردة أهل الكتاب، وتجيش الجيوش لتطفئ نور

اللّه. ومنذ تلك اللحظة شمر أبو أيوب الانصاري عن ساعد الجد، واتخذ الجهاد في سبيل اللّه وتثبيت دعائم الإسلام شغله الشاغل، فلم يتخلف عن معركة من معارك رسول اللّهﷺ أو غزوة من غزواته ﷺ في حياته إلا كان في مقدمتها، فشهد بدرا وأحدا والأحزاب والخندق وغيرها. وكان شعاره الذي يردده دائما: (انفروا خفافا وثقالا)، كان حسبه أن يعيش جنديا في جيش الإسلام، يقاتل الكفار والمنحرفين والباغين.

زهده:

* ومما يروى عن زهد أبي أيوب، انه مرض يوما فزاره أحد الأصحاب فأخذ يدعو له ويقول: اللهم عافه واشفه، فقال أبو أيوب: (لا تقولوا هذا وقولوا اللهم إن كان أجله عاجلا فاغفر له وارحمه، وإن كان آجلا فعافه واشفه وآجره)[١٠].

روايته للحديث:

نقل عنه أرباب الحديث ١٥٥ حديثا. وقد روى أحاديث كثيرة في فضائل أمير المؤمنين وأهل البيتعليهم السلام. ومما روي عنه:

* قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: (أنا سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء وسبطاي خير الأسباط، ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين عليه السلام، ومنا مهدي هذه الأمة). فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول اللّه كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد الأسباط وحواري عيسى ونقباء بني إسرائيل[١١].

* وعنه أيضا قال: قال رسول اللّهﷺ لقد صلت الملائكة عليّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذلك إنه لم يصلِ معي رجل غيره[١٢].

* روى ابن المغازلي بإسناده في كتابه مناقب علي بن أبي طالب يرفعه إلى أبي أيوب الأنصاري أن رسول اللّه ﷺ قال: (يا فاطمة، إنا أهل البيت أُعطينا سبع خصال لم يعطها أحدٌ من الأولين والآخرين قبلنا ـ أو قال: الأنبياء ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا ـ نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك ووصينا أفضل الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا أفضل الشهداء وهو حمزة عمك ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عمك ومنا سبطا هذه الامة وهما ابناك ومنا ـ والذي نفسي بيده ـ مهدي هذه الأمة)[١٣].

* وروي عنه أيضا أنه قال: قال رسول اللّهﷺ لعليعليه السلام: (إن اللّه زينك بزينة لم يزين العباد بشيء أحب إلى اللّه منها، ولا أبلغ عنده منها، الزهد في الدنيا، قد أعطاك ذلك وجعل الدنيا لا تنال منك شيئا، وجعل لك سيماء تعرف بها)[١٤].

* وقد روي أن مروان بن الحكم طريد رسول اللّهﷺ رأى أبا أيوب الأنصاري مكباً على القبر الشريف يتبرك بترابه ويقبله فهاج حقده القديم على الرسولﷺ وعلى الأنصار ولم يستطع أن يرى تعظيم الرسولﷺ بعد موته وأخذ بقفا أبي أيوب ورفعه وقال: هل تعرف ما تفعل؟ إنما هذا شرك وعبادة لغير اللّه تعالى، فنظر إليه أبو أيوب وقال: مالك والدخول في هذه الأمور التي نحن أعلم بها منك، فبسيوفنا أسلم قومك وكانوا مشركين ونحن علمناكم الحق وعبادة اللّه تعالى[١٥].

ولاؤه لأمير المؤمنينعليه السلام:

كان أبو أيوب من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنينعليه السلام مخلصا في ولائه، مختصا به، وممن أنكر على الخليفة الأول تقدمه عليه. ففي أول جمعة صعد أبو بكر المنبر، اعترض عليه مجموعة

من الصحابة محتجين، وكانوا اثني عشر رجلا، ستة من المهاجرين وستة من الأنصار. .. فقاموا وتكلموا واحدا تلو الآخر، ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: اتق الله، وردوا الأمر إلى أهل بيت نبيكم فقد سمعتم ما سمعنا، إن القائم مقام نبينا بعده علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنه لا يبلّغ عنه إلا هو، ولا ينصح لأمته غيره.

فنزل أبو بكر من المنبر، فلما كان يوم الجمعة المقبلة سل عمر سيفه ثم قال لا أسمع رجلا يقول مثل مقالته تلك إلا ضربت عنقه[١٦].

* وأبو أيوب الأنصاري أحد الذين استشهدهم أمير المؤمنين عليه السلام في حادثة الغدير، وشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه).

في عهد أمير المؤمنين عليه السلام:

ولما تمت البيعة العامة بالخلافة للإمام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان كان في أول معسكره، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام خلفه على المدينة عند خروجه إلى البصرة لقتال الناكثين أصحاب الجمل لذلك ما استطاع أن يشهد معركة الجمل بالبصرة، وقد شهد مع الإمام علي عليه السلام معركتي صفين في قتال أهل الشام، والنهروان في مقاتلة الخوارج، وكان على اللواء المتقدم في الحرب.

عن جندب بن عبد الله الأزدي أن عليا عليه السلام استنفرهم أياما فلم ينفروا فقام في الناس فقال: (أما بعد أيها الناس فإني قد استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كغياب، وصم ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظة الحسنة، وأحثكم على جهاد عدوكم الباغين، فما آتي علي آخر منطقي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، فإذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقا عزين تضربون الأمثال، وتتناشدون الأشعار، وتسألون عن الأخبار، قد نسيتم الاستعداد للحرب، وشغلتم قلوبكم بالأباطيل، تربت أيديكم اغزوا القوم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم قط في عقر ديارهم إلا ذلوا..... إلى آخر خطبته عليه السلام)[١٧].

فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: (أيها الناس إن أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذن واعية وقلب حفيظ إن الله قد أكرمكم بكرامة لم تقبلوها حق قبولها، إنه ترك بين أظهركم ابن عم ـ نبيكم، وسيد المسلمين من بعده، يفقهكم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلين، فكأنكم صم لا تسمعون، أو على قلوبكم غلف مطبوع عليها، فأنتم لا تعقلون، أفلا تستحيون؟! عباد الله [أليس] إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس قد شمل البلاء وشاع في البلاد فذو حق محروم وملطوم وجهه وموطئ بطنه وملقى بالعراء تسفي عليه الأعاصير لا يكنه من الحر والقر وصهر الشمس والضح إلا الأثواب الهامدة وبيوت الشعر البالية، حتى حباكم الله بأمير المؤمنين عليه السلام فصدع بالحق ونشر العدل وعمل بما في الكتاب، يا قوم فاشكروا نعمة الله عليكم، ولا تولوا مدبرين، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، اشحذوا السيوف، واستعدوا لجهاد عدوكم، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أمرتم فاسمعوا وأطيعوا، وما قلتم فليكن ما أضمرتم عليه تكونوا بذلك من الصادقين)[١٨].

* وعند استئناف معركة صفين بعد

انقضاء مدة الهدنة، وفي استعداده لاستئناف حربه مع معاوية وقف أمير المؤمنين عليه السلام ينادي بأعلى صوته: (الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللّه - أَلَا وإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا - فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللّه فَلْيَخْرُجْ)!

وعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام فِي عَشَرَةِ آلاف - ولِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَه اللّه فِي عَشَرَةِ آلاف - ولأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ فِي عَشَرَةِ آلاف - ولِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ - وهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ - فَمَا دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَه الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَه اللّه فتوفي على إثرها[١٩].

* وفي طريقه لمقاتلة الخوارج نزل في ضيعة يعلف خيلًا له فجاءه رجل وقال له: (يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله أمرني بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين وأنا مقاتل إن شاء اللّه المارقين بالسعفات بالطرقات بالنهروانات وما أدرى أين هم)[٢٠].

وفاته:

عاش أبو أيوب الأنصاري إلى أيام بني أمية، وكان يسكن المدينة، فرحل إلى الشام. وشارك في غزو القسطنطينية، فحضر الوقائع، ومرض بعد وصوله القسطنطينية فأوصى إن مات أن يدفن في أرض المعركة، فقال إذا أنا مت فقدموني في بلاد العدو ما استطعتم ثم ادفنوني، فمات فيها سنة ٥٢ هـ وكان المسلمون على حصار القسطنطينية فقدموه حتى دفن قرب سور القسطنطنية جنب حائط[٢١] وإن خيل المسلمين جعلت تقبل وتدبر على قبره حتى عفي أثره مخافة نبشه من قبل الأعداء. وقبره معظم معلوم باسطنبول في تركيا شاخصا إلى اليوم يزورونه ويستسقون به فيسقون فيه.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم آمن وجاهد، ويوم مات، ويوم يبعث حيا■

---

١) الطبقات الكبرى/ابن سعد: ٤٨٤/٣.
٢) الاستيعاب: ٥/٤.
٣) رواه الخوارزمي في مناقبه: ١٢٤.
٤) الإصابة/ابن حجر: ٤٠٤/١.
٥) الاستيعاب/ابن عبد البر ج٤ص١٦٠٧.
٦) الأعلام من الصحابة والتابعين/ الشاكري/ ج٨ ص١١٦.
٧) الكافي/الكليني/ ج٨ ص٣٣٩.
٨) الاعلام من الصحابة والتابعين/ الشاكري/ ج٨ ص١١٧.
٩) م.ن.
١٠) كنز العمال/ المتقي الهندي/ ج٩ ص٢٠٨.
١١) كفاية الأثر/ الخزار القمي/ ص١١٣.
١٢) روضة الواعظين/ الفتال النيسابوري/ ص٨٥.
١٣) شرح أصول الكافي/المازندراني/ ج٧ ص١٩٠.
١٤) مستدرك الوسائل/النوري/ ج١٢ ص٤٤.
١٥) شرح أصول الكافي/ المازندراني/ ج٤ هامش ص٢٢٣.
١٦) الرجال/البرقي/ص٦٦.
١٧) الغارات/ابراهيم الثقفي الكوفي/ ج٢ ص٤٩٣.
١٨) م.ن.
١٩) نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ ص٤٢٦.
٢٠) مجمع الزوائد/ الهيثمي/ ج٦ ص٢٣٥.
٢١) الثقات/ابن حبان ج٣ ص١٠٢.

في النفس والمجتمع

الصبر الجميل

الشيخ حسن العيساوي
باحث إسلامي وخطيب

ينابيع

ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في مفهومه العام في سبعين آية من القرآن الكريم لما له من الأهمية في حياة الإنسان المؤمن في هذه الدنيا وخاصة إذا عرفنا أن المؤمن معرض إلى الابتلاء والامتحان ولا يمكن أن يصل إلى مرحلة من التكامل والقرب من الله من غير ابتلاء في الخير والشر في الرخاء والشدة وهذا لا يتم إلا بالاستعانة بالصبر ولذلك اعتبر النبي صلى الله عليه وآله الصبر رأس الإيمان ،كما ورد في الرواية: (الصَّبْرُ مِنَ الإيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ)[1].

وقد مدح القرآن الكريم الصابرين وأثنى عليهم وأحب الصابرين قال في كتابه العزيز: (**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**) (آل عمران: ١٤٦) فالإنسان لا يمكن أن يعيش بدون الصبر، لأنه يقع لا محالة في الجزع، فالصبر والجزع صفتان متضادتان في الإنسان فكلما ضعفت واحدة قويت الأخرى واحتلت مكانها، فلابد للمؤمن من التمسك بالصبر للوصول إلى الأمان من الوقوع في الحرام إذا جزع وفقد صبره.

الصبر لغة واصطلاحاً:

الصبر لغة هو: (التجلد وعدم الشكوى من ألم البلوى. فيقال صبرت نفسي على كذا أي حبستها وصبرت على ما أكره وصبرت عما أحب)[2].

وهذا المعنى اللغوي هو قريب من الاصطلاح الذي ذكره علماء الأخلاق قال النراقي رحمه الله: (هو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب، بأن تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك

من السرور والطمأنينة، فيحبس لسانه عن الشكوى وأعضاءه عن الحركات غير المتعارفة)[٣]، وعرفها غيره بأنه : (الاستقامة والثبات بقوة الإيمان واليقين أمام المشاكل والحوادث المختلفة التي تمر على الإنسان في هذه الدنيا وهو ضد الجزع الذي هو فقدان التوازن وسلب عنصر المقاومة والصمود أمام ما يتعرض له الإنسان)[٤].

فالصبر كما يظهر ممن عرفه من العلماء ملكة نفسانية تحصل لدى الإنسان تجعله يصمد أمام مشاكل الحياة والصعوبات التي تمر عليه وهذه الملكة لا تتم إلا بالإيمان والتوكل على الله سبحانه وتعالى فارتبط الصبر بالإيمان، قال الإمام الصادق عليه السلام: (الصَّبْرُ رَأْسُ الإيمَانِ)[٥] فيستطيع الإنسان المؤمن أنَ يحصل على هذه الصفة الأخلاقية من خلال الممارسة للصبر حتى تحصل عنده ملكة الصبر فيصبر على المحن والمصائب بسهولة ويسر ولذلك فإن المؤمن كلما مرت عليه المصائب زادته إيماناً بالله لأنه يشعر فيها أن الثواب والأجر منه سبحانه وتعالى وأن هذا لمصلحته وإن الدنيا دار امتحان واختبار وليست دار نعيم كما يريدها الكفار وأصحاب الدنيا الذين ركنوا إليها وإلى ملذتها ويبحثون عن الرخاء والسعادة ونعيم الأبد في الدنيا.

الصبر والجزع:

الصبر والجزع: صفتان متضادتان في الإنسان، كلما قويت واحدة ضعفت الأخرى، فالضدان يستحيل أن يجتمعا في شيء واحد فلذلك فإن الإنسان إذا لم يتحل بالصبر عند المصيبة والمحنة أصابه الجزع، قال الإمام علي عليه السلام: (مَنْ لَمْ يُنْجِه الصَّبْرُ أَهْلَكَه الْجَزَعُ)[٦]، فالإمام عليه السلام

يشير إلى أن الإنسان في هذه الدنيا مهما كان دينه وعقيدته فهو بين الجزع والصبر وإذا فقد أحدهما حل الآخر بدله، فلابد للإنسان من الصبر على المصيبة والاستعانة بالله سبحانه وتعالى للحصول على الصبر عند التعرض لها، ومن دونه لا يحصل على الثواب والأجر، وبعض الأشخاص صار الجزع عنده ملكة فهم يجزعون ويتألمون من كل شيء، فتراهم يغضبون من أي شيء يمر في حياتهم، فالظروف الطبيعية تكون سبباً لجزعهم وظهور الحدة والعصبية عندهم، فالحر والبرد والعاصفة الترابية تجعلهم يفقدون توازنهم ويشعرون بالضيق والحرج الشديد مع أن هذه الأمور وغيرها من الظروف الطبيعية التي تحصل في اليوم الذي يمر في حياتهم، ولذلك أوصى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالصبر فقال: (وعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوه، ونِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ)[٧] فالإمام عليه السلام يدعو الإنسان الفاقد للصبر على التعود على الصبر حتى تحصل عنده ملكة الصبر وهذا يتم بالممارسة خطوة بعد خطوة وبعد أن يعلم الإنسان أن الصبر فضيلة ومنقبة يجب على المؤمن التحلي بها والابتعاد عن الجزع فأنه رذيلة ومنقصة للنفس ولذلك صبر أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على أشد الظروف وتحملوا أنواع المصائب والمحن من الولاة والحكام الظلمة الذي حاربوا الشيعة خلال حكمهم وعلى كل مسلم يريد أن يتعلم الصبر أن يراجع سيرتهم وحياتهم فيتعلم منهم الصبر.

الصبر الجميل:

ورد تعبير الصبر الجميل في القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام عندما جاء أخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السلام بدم كذب، كما يحكي لنا القرآن ذلك، قال تعالى: (**وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**) (يوسف: ١٨).

فالنبي يعقوب عليه السلام أحس بما جرى عليه من مصيبة بفقدان ولده يوسف عليه السلام وإن البلاء لا يمكن الفرار منه، ولا سبيل له سوى الصبر والتمسك بالله والاستعانة به، وتحمل هذه المصيبة والبلاء الذي وقع عليه بفقدان ابنه يوسف عليه السلام وهذا ما حصل فعلاً، فصبر يعقوب عليه السلام ورجع إليه ابنه بعد تلك الفترة الطويلة من الفراق والبعد بينهما وحصل على الثواب وفاز بنعيم الأبد والمقربة من الله بصبره، قال تعالى: (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ* أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**) (البقرة: ١٥٥) واختلف المفسرون في تفسير معنى الصبر الجميل على ثلاث معان:

التفسير الأول:

الصبر الجميل (هو الصبر الذي لا يخالطه الجزع ولا الشكوى من المصيبة)[٨] فالإنسان ما دام في هذه الدنيا فهو متعرض لأنواع المصائب والويلات ولا سبيل للفرار منها، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار بلاء وجعل الآخرة دار جزاء، والإنسان عليه أن يستعد للبلاء وكلما ازداد إيمان الإنسان ازداد بلاؤه

لأن الإيمان مرتبط بالبلاء، عَنْ أَبي عَبْد اللّه عليه السلام قَالَ: (إنَّ في كتَاب عَليٍّ عليه السلام: أَنَّ أَشَدَّ النَّاس بَلَاءً النَّبيُّونَ ثُمَّ الْوَصيُّونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ وإنَّمَا يُبْتَلَى الْمُؤْمنُ عَلَى قَدْر أَعْمَاله الْحَسَنَة فَمَنْ صَحَّ دينُه وحَسُنَ عَمَلُه اشْتَدَّ بَلَاؤُه وَذَلكَ أَنَّ اللّه عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَجْعَل الدُّنْيَا ثَوَاباً لمُؤْمن ولَا عُقُوبَةً لكَافر ومَنْ سَخُفَ دينُه وضَعُفَ عَمَلُه قَلَّ بَلَاؤُه...)[٩] فالإنسان المؤمن معرض للبلاء وهذا شيء مسلم لا يمكن النقاش فيه، ولكن هذا البلاء يمر على الإنسان مع الشكوى والتذمر حتى يصل في بعض الأحيان إلى الجزع وفقدان السيطرة على نفسه فيرتكب الذنوب والعياذ بالله وينسى أن هذا البلاء رحمة له لأن الله جعل للمؤمن درجة لا ينالها إلا بالبلاء، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنَّ في الْجَنَّة مَنْزلَةً لَا يَبْلُغُهَا عَبْدٌ إلَّا بالابْتلَاء في جَسَده)[١٠] ولكن الانسان المؤمن أحياناً وبسبب تعلقه بالدنيا واختلاطه ومعاشرته لمحبي الدنيا يتأثر بهم ويركن إليهم فلا يفكر بالثواب العظيم الذي جعله الله لأصحاب البلاء الصابرين عليه، ولذلك يقوم بعضهم بالشكاية للناس مما أصابهم من البلاء فيفقدون قسماً من ثواب صبرهم، وعلى المؤمن أن تكون شكواه لله سبحانه وتعالى وأن لا يجزع من المصاب لأن في الجزع والشكوى لغير الله ضياع الأجر والثواب مع أن المصيبة سوف تمضي عليه لا محالة والقدر ماض سواء قبل ذلك أم لم يقبله قال الإمام علي عليه السلام: (إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور)[١١].

التفسير الثاني:

الصبر الجميل هو الصبر الذي (يكون بدافع إلهي وطلباً لرضا الله سبحانه تعالى)[١٢] هذا الرأي يرى أن الجميل هو النية الخالصة لله سبحانه وتعالى ولذلك يتحمل المصيبة لا يريد منها مدحاً في الدنيا وعلوا وتفضلاً على الآخرين، كما يفعل أصحاب الدنيا الراغبين في الزيادة والتنافس مع الآخرين فيفعلون الأعمال التي تتطلب صبراً لا يتحمله كل إنسان عادة فيتحملون العطش والجوع والبرد القارس والحر الشديد في سبيل الفوز بلقب في الدنيا أنه أصبر الناس وأشد الناس في مثل هذه الأمور وغيرها، وقد تأثر بعض المسلمين بهم فكان صبرهم لغير رضا الله وأما المؤمن فأنه يصبر من أجل رضا الله سبحانه وتعالى وثوابه فيحصلون على الجنة والنعيم الأبدي لأن الله سبحانه وتعالى وعد الصابرين بدخول الجنة بغير حساب وبرضوان منه سبحانه وتعالى. وأما صبر إمامنا الحسين عليه السلام وأخته زينب عليها السلام فكان لرضا الله، فتحمل الإمام عليه السلام كل المصائب التي يعجز الإنسان عن وصفها وتصورها فضلاً عن تحملها، ولكن إمامنا عليه السلام تحملها لأنه صلوات الله عليه لم يكن يرغب أو يميل إلى الدنيا وملذاتها وإنما كان يرغب في ثواب الآخرة، وعلى كل مؤمن أن يقتدي بإمامنا الحسين عليه السلام بقدر ما يستطيع فتهون عليه مصائب الدنيا قال الإمام الكاظم عليه السلام: (لا تجعلوا قلوبكم مأوى الشهوات إن أجزعكم عند البلاء لأشدكم حباً للدنيا وإن أصبركم على البلاء لأزهدكم للدنيا)[١٣] فإن العلاقة بين الدنيا والصبر علاقة متضادة فكلما ازداد حب

الدنيا ضعف الصبر وقد يصل حب الدنيا ببعض الأشخاص إلى الانتحار والعياذ بالله.

التفسير الثالث:

ويرى هذا التفسير أن الإنسان إذا تعرض إلى المصيبة فإنه يعتمد على الله سبحانه وتعالى ولا يفكر بغيره ولا يرى غير الله تعالى يحل له المشكلة وينقذه منها ولذلك فإن المراد بالجميل هو (الذي يعرض صاحبه على الله تعالى ويلتجئ إليه عند المصيبة ويؤدي حق الطاعة والعبودية له)[١٤] فإن نبي الله يعقوب عليه السلام صبر صبراً جميلاً فإنه صبر ولم يعص الله سبحانه وتعالى واستمر على طاعته ولم يشكُ همه إلا الى الله سبحانه، وقد قال الله في كتابه العزيز عن صبر يعقوب وشكايته إلى الله تعالى دون غيره فقال عليه السلام: (**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) (يوسف: ٨٦) فالإنسان المؤمن يتعرض في هذه الدنيا إلى المصائب والويلات فيشكو ويناجي ربه على أن ينقذه منها وأما غير المؤمن فإنه يشكو إلى غير الله سبحانه وتعالى فلا يحصل على الثواب من الله ولا يستطيع أحدٌ أن يحل له المشكلة وقد يؤدي الأمر إلى نتيجة عكسية فيضعف في أعين الناس لأنه صاحب مصيبة وبلاء ويشمت به الأعداء ولا يحصل منهم على مساعدة أو كلمة طيبة واما من يشكو همه إلى الله فإنه يحصل على الثواب ولا ينقص شيء من قيمته ولا يصغر في نظر الناس لأنه لم يشكُ إليهم ولم يطلب منهم العون والمساعدة بل هو صابر محتسب قد يفتخر به المؤمنون لشدة صبره وتضرعه لله دون غيره■

---

١) الكافي/للكليني/ ج٢ ص٨٨.
٢) المنجد في اللغة ـ ٤١٤ مادة الصبر.
٣) جامع السعادات ـ ج٢ ص٣٦٨.
٤) الأخلاق في القرآن الكريم/ ناصر مكارم شيرازي ـ ج٢ ص٤٠٣.
٥) الكافي/للكليني/ج٢ص٨٧.
٦) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ الحكمة ـ ١٨٩.
٧) م.ن.ص٣٩٣.
٨) الأخلاق في القرآن الكريم/ مكارم شيرازي ج٢ ص٤٠٣.
٩) الكافي/للكليني/ج٢ص٢٥٩.
١٠) م.ن.ص٢٥٥.
١١) بحار الانوار/المجلسي/ج٦٨ص٩٢.
١٢) الأخلاق في القرآن الكريم ـ ج٢ ص٤٠٨ مكارم شيرازي.
١٣) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ ج١ ص١٤٦.
١٤) الأخلاق في القرآن الكريم ـ ج٢ ص٤٠٨ مكارم شيرازي.

من شعر الحكمة

قالوا في الزمان:

يعيب الناس كلهم الزمانا ولا لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان به هجانا
لبسنا للخداع مسوح ضان فويل للغريب إذا أتانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضا عيانا

وقال آخر:

أرى حللا تصان على رجال واعراضا تهان ولا تصان
يقولون الزمان به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزمان

وأنشد آخر:

ألا قل لمن ذم صرف الزمان ظلمت الزمان فذم البشر
فما كدرت صفوات الزمان فتلحى ولكن فينا كدر

وقالوا في الحياء:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحِ فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي الحياء
ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء

وايضاً:

ومخرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

في النفس والمجتمع

المخالطة و العزلة

فارس رزاق الحريزي
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع اختلف الناس لاسيما العلماء منهم في المخالطة والعزلة، وأيهما أكثر حسناً وأقل قبحاً، وفي تفضيل إحداهما على الأخرى، مع استنباط أن مع كل واحدة منهما غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها.

لذا ينبغي من أُولي الألباب التمييز في العلاقات الاجتماعية مع الناس واختيار الأمثل حتى يميز الخبيث من الطيب، ولكي لا يحس في قلبه خوفاً، ويحصل على المرجح الحسن والتوسع في الطاعات وأعمال الخير، والابتعاد عن الحوب الكبير، والبهتان العظيم، فيحل الاغتباط ويبتعد الوجل.

المخالطة: تعني المعاشرة أو **الممازجة:** خالط الذئب القطيع دخل فيه. وقد احتج مريدو المخالطة بقوله تعالى: **(وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ)** (آل عمران: ١٠٥) فيحل النفاق والاختلاف والتشرذم والتمزق وتتحول الحياة السعيدة إلى حياة شقية، وتحل الذلة محل العزة وينتهي المجد العظيم[١] أو قوله تعالى: **(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ)** (الأنفال: ٦٣)، ببركة الإسلام، وفي ظلال القرآن عاش بعضهم مع بعض بالحب والصفاء بعد أن كانت صدورهم مملوءة بالبغضاء والشحناء، وهذا بفضل التوحيد الخالص الذي رفعهم عن الحضيض.

ومن فوائدها الحصول على بطانة وأصحاب سرٍّ وأولياء. ومن دواعيها التعلم والتعليم، والنفع والانتفاع، والتأديب والتأدب، والاستيناس والإيناس، ونيل الثواب بحضور الجنائز، وعيادة المرضى، وحضور العيدين والجمعة والجماعة. ومن نتائجها التواضع وهو أفضل المقامات.

ولا ريب أن التجارب قربت وأدنيت من المخالطة، وأصبح استنتاج مصالح الدين والدنيا أكثر يقيناً. وقد قيل الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة. ومما ينبغي ذكره أن اليد العليا مطلوبة في تجسيد العلاقات المرغوبة. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون)[٢]، وقال الإمام علي عليه السلام: (رب بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد، والغريب من

لم يكن له حبيب)[٣] وعن الإمام الصادق عليه السلام: (اصحب من تتزين به ولا تصحب من يتزين بك)[٤]، إذن العبرة باختيار الأفضل، إذ إن الناس أشكال وطبائع، فالكريم منهم مثلاً يخفي القبيح ويظهر الإحسان، أما اللئيم فيخفي الجميل ويظهر البهتان. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب، وأحبُّ الأواني إلى الله أصفاها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان)[٥]. فالجليس الصالح تستريح النفس إليه في اليوم ساعة عن كدّ المواظبة، تكون بذلك عوناً على بقية الساعات، ولذلك آداب ينبغي التقيّد بها والعمل بموجبها، فلا يخفى عن الجميع ما لمخالطة ومصاحبة الأخيار وعدم مخالطة الأشرار لأن صاحب الشر يُعدي، وكذلك ينبغي تجنب مخالطة الكذّاب والفاسق والأحمق وقاطع الرحم بل اختيار أشراف القوم الذي يملؤون الصدور هيبة، فالألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرقة ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحابب والتآلف والتوافق، بينما يثمر سوء الخلق التباغض والتحاسد والتدابر. وضروري جدًّا في المخالطة حفظ اللسان، وعدم التطرق إلى سيرة الإخوان أو الذات. إذ إن كتمان الأمور أفضل ونتائجها أجمل، ومحبة الناس لك أكثر فلكل مخلوق سيرته الذاتية المحببة له، وفي رأيه واعتقاده أنه معصوم من الخطأ لاسيما إن كان التطرق عن المذهب أو الأسرار المدفونة أو المال. مصداق قول الشاعر:

احفظ لسانك لا تَبُحْ بثلاثةٍ
سرّ ومالٍ ما استطعتَ ومذهبِ
فعلى الثلاثةِ تبتلي بثلاثةٍ
بمكفِّرٍ وبحاسدٍ ومكذبِ

مع التأكيد أن الكثرة تحتاج إلى الرجل، الأحوذي الذي يسوق الأمور إلى أحسن مساقٍ لعلمه بها، والمستيقظ دائماً والذي يرتوي من المنهل العذب. وقد شجع الإمام علي عليه السلام على المعاشرة (الممازجة) إذ قال:

فليس كثيراً ألفُ خِلٍّ وصاحب
وإنّ عـــدواً واحـــدًا لـكثـير

وإذا كان لابد من المخالطة فاختيار الشرفاء أمر مطلوب، والابتعاد عن أصحاب السوء مطلب مرغوب فلا نقنط بل ينبغي التزلف لأصحاب التبتل، صاحب وجالس من يذكرك بالله وبالآخرة وبالعمل الصالح والجود والأخلاق والفضل والإحسان لأنك وإن لم تكن منهم تأثرت بهم، وأحببت عملهم وحسبك الناس منهم، وصاحب وجالس من يبكيك وهو لك ناصح، ومن يهدي إليك عيوبك حتى تصلحها، ومن يزيدك علماً أو يحببك في العلم والعلماء.

أما العزلة (الانعزال) فهي الابتعاد عن الدنيا والناس، مثلاً يعيش الزاهد في عزلة، وقد احتج مريدو العزلة بقوله تعالى عن لسان إبراهيم عليه السلام إذ قال: (**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**) (الصافات: ٩٩) فقد عزم إبراهيم عليه السلام على المهاجرة من بين قومه وطلب برجاء من الله الولد. وإن مراده بالذهاب إلى ربه أي إلى مكان يتجرد فيه لعبادته ودعائه وهو الأرض المقدسة، وكذلك قوله تعالى: (**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (العنكبوت:٢٦)، فهجرة لوط معنوية حيث هجر المجتمع الفاسد رافضًا تمحوره حول الأوثان ليتصل بالمجتمع الصالح المتمحور حول الإيمان الحق. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ليسعك بيتك، وأمسك عليك دينك وابك على خطيئتك)[٦] أجل إن الإنسان المؤمن يحتاج بين وقت وآخر للعزلة حتى يريح قلبه من الهموم ويتفرغ ويتوجه للخالق الواحد الأنيس للمستوحشين، وفي ذلك دوحة النبلاء، ووليجة الأتقياء، ويجني بذلك منزلاً صالحاً مرضيّاً، وحسن مآب مرجيّاً، ومحصلاً طرق الهدى والسداد. وقال الشاعر:

ارضَ بـاللّهِ صـاحبًـا
وَذَرِ النّـاس جـانبًا

فبالعزلة يحصل الابتعاد عن الناس والفراغ للعبادة، والفكرة والاستيناس، فمناجاة الله تعالى أفضل من مناجاة الخلق، وقد (قيل لبعض الأولياء المواظبين على الخلوة والعزلة ألا تستوحش؟ فقال كيف ذلك وأنا جليس الله لأن الباري يقول في الحديث القدسي أنا جليس من ذكرني فإذا أردت أن أكلمه دعوته وإذا أردت أن يكلمني قرأت القرآن)[٧]. ويقينًا أن الإنسان في الخلوة يسلم من الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخير واجب وهو من فروع الدين، إلا أنه فيه إثارة للخصومات وتحريك الغوائل في الصدور. ومن جرّب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه، فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلاً[٨].

ومن شروط العزلة وآدابها ينبغي على المعتزل أن ينوي بعزلته كفّ شرّ نفسه عن الناس، ويطلب السلامة من شرّ أشرارهم. والخلاص من آفة القصور عند القيام بحقوق الناس، وليكن في خلوته مواظبًا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجني ثمرة العزلة.

وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة. فيبقى حياً بمعرفة الله وأُنسه، فرحاً بفضل نعمته عليه ورحمته..

فاجعل لنفسك في تفريدها أبدا
تعش حميدًا إذا ما كنت منفردا

ومن اللافت للنظر أن أرباب العقول تختار الخيارات الحسان حتى يميز الخبيث من الطيب، وتنفر دائماً من الكثرة التي تجلب الحسد بينهم لتكالب الناس على الدنيا، وقلة الحكمة، فالتمحّص في هذه الحالة يطرد الأذى. وقد قيل: لا تغتر إذا كان لديك أصدقاء بقدر عدد شعرك، فعندما تحتاجهم ستكتشف بأنك أصلع، فالكثرة أحيانًا تسبب المصائب والمهالك والشرور، فالحمية من الأنام كالحمية من الطعام، فثبت أن في العزلة صيانة الجوارح، وإبعادها عن المعاصي، والمجانبة من كل سوء، وما من نبي إلا واختار العزلة في زمانه، إما في ابتداء حياته ودعوته أو في انتهائهما أو بينهما. قال عيسى بن مريم عليه السلام: (اخزن لسانك لعمارة قلبك، وليسعك بيتك، واحذر من الرياء وفضول معاشك، واستح من ربك، وابك على خطيئتك، وفرّ من الناس فرارك من الأسد والأفعى، فإنهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء، ثم الق الله متى شئت)[٩]. ويحذرنا أهل البيت عليهم السلام من مخادنة أنماط من الرجال اتسموا بسجايا هابطة وقد كان الإمام علي عليه السلام يقول: (لِيَجْتَمِعْ فِي قَلْبِكَ الافْتِقَارُ إِلَى النَّاسِ والاسْتِغْنَاءُ عَنْهُمْ فَيَكُونَ افْتِقَارُكَ إِلَيْهِمْ فِي لِينِ كَلَامِكَ وحُسْنِ بِشْرِكَ ويَكُونَ اسْتِغْنَاؤُكَ عَنْهُمْ فِي نَزَاهَةِ عِرْضِكَ وبَقَاءِ عِزِّكَ)[١٠].

فالعزلة تحفظنا من الخصومات ومثارات الفتن، وصيانة الدين، وينقطع طمع الناس عنك وطمعك عنهم وفي ذلك كل الجدوى إذ رضا الناس غاية لا تدرك. ورحم الله ابن الرومي[١١] إذ قال:

عدوُّك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الدَّاء أول ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب

ومن خلال الموازنة بين المخالطة والعزلة فإن الأفضلية فيهما تختلف من شخص إلى آخر، وبين حالة وثانية، باختلاف الأزمان والأمكنة ونوعية المجتمع والصفات السائدة فيه. لذا ينبغي النظر بإتقان إلى الشخص وأفعاله والابتعاد عن أصحاب السوء، لأن الصاحب يأخذ من صاحبه مؤكدًا، قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

لذا فإن التأدب والتعاطف مطلوبان بين الناس لتحقيق بعض الأهداف. ويجب أن تكون المعاشرة بينهم مثل ملح الطعام، فالاعتزال به حتمي ومطلوب■

---

١) تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص٣٨٣.
٢) البحار/ ج٧٧، ص١٤٥.
٣) نهج البلاغة/ ج١٧، ص٧٣.
٤) من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق/ ج٢ ص٢٧٨.
٥) أخرجه الطبراني في الكبير.
٦) شرح نهج البلاغة/ابن أبي الحديد ج١٠ ص٤٢.
٧) العقد الحسيني/ والد البهائي العاملي ص٤١.
٨) المحجة البيضاء/ الكاشاني ٥/ ٦٤٥.
٩) جامع السعادات/ ج٢، ص٣٠٦.
١٠) الكافي/للكليني ج٢ ص١٤٩.
١١) تاريخ مدينة دمشق/ ابن عساكر ج٧٠ ص٧٠.

طروحات عامة

الأداء الإعلامي في حادثة الغدير(١)

السيد محيي الدين الجابري
كاتب وباحث

ينابيع

لا نختلف أبدًا، وإن كنا اختلفنا في المضامين أو المعاني، أن واقعة الغدير المباركة كانت بيانًا سياسيًا، أو رسالة بالمفهوم الحديث للرسالة، والذي يعتمد في الإعلام اليوم، وهو مفهوم الإبلاغ، أو الخطاب القائم بالأساس على عناصر رئيسية تنحصر في مجملها في المرسل والرسالة والمرسل إليه، أو لنقل المؤدي والخطاب والمتلقي(٢).

ومن الواضح أن الأداء الإعلامي في واقعة الغدير استعان بأكثر من أداة لإيصال الخطاب إلى مؤداه، فهو بالإضافة إلى التركيز على إتمام التفاصيل الدقيقة لنجاح الخطاب استعان بمفردات وأدوات يمكن أن تشتمل على أكثر من ملمح واضح في هذا المضمار:

إن الحركة والمسيرة النبوية لحجة الوداع، التي بدأت بالإعلان للحج من داخل المدينة وجمع الناس لأداء هذا الركن من أركان الإسلام، وهو الحج بإمامة الرسول الأعظمﷺ، واستنفار القبائل، وإعلام الناس بنية الرسول الأعظمﷺ الخروج إلى الحج، كان نوعًا من الحشد الإعلامي لتحقيق الانتشار الأوسع لكل ما يتعلق بتلك الحجة المباركة من تعاليم ومناسك.

إذن يمكن الإشارة إلى أن بعض ما يتصل بهذه الحجة المباركة من التفاصيل الدقيقة كان كما يبدو للمتتبع نوعًا من المقدمات تشبه إلى حد بعيد المشهد التمهيدي الذي يبدأ به الأداء المسرحي الناجح كما هو معروف لدى أهل المسرح(٣)، وهو من الناحية التقنية مشهد محوري ترتكز عليه بالتالي أحداث العمل المسرحي وصولًا إلى ذروة الحدث، ومن تلك التفاصيل

وصول أمير المؤمنين صلوات الله عليه من الجهة الجنوبية من الجزيرة العربية (اليمن) والخبر بذلك في تفاصيله معروف لدى أهل الأخبار، خاصة تفاصيل النحر.

ومن التفاصيل أيضًا في هذا الحدث، خروج كل فئات المسلمين وطبقاتهم الاجتماعية، من شخصياتهم، وقادتهم، ومقاتليهم، وفقرائهم، وأغنيائهم، دون استثناء حتى النساء والأطفال، وفي الخبر أن أمهات المؤمنين خرجن جميعًا على هوادج بصحبة الرسول الأعظم ﷺ، وهنا يكمن نوع من التغاير والاختلاف عن الحملات الكبرى التي تحرك فيها الرسول الأعظم ﷺ، مثل حملة تبوك، وغيرها، فهذه الحركة هي غير الحركات العسكرية، وهي غير الهجرة التي تمت على دفعات، فهي حشد سلمي اجتماعي في مظهر مهيب، وفي جلال وعظمة لم تشهد الجزيرة العربية له مثيلًا لا في الإسلام ولا قبله، ولنا أن نتصور ما لهذه الحركة من أثر في النفوس المؤمنة بعد ذلك.

ولو شئنا أن نتتبع كل التفاصيل الصغيرة والدقيقة المتصلة بهذه الحركة المباركة لاحتجنا إلى وقت وجهد كبيرين، ولكن نكتفي بهذه الاشارة لبيان ما حققه ذلك من أثر إعلامي لاحقًا.

فإذا انتهينا هنا من البحث جزئيًا في مسألة المقدمات، يمكن أن نستعرض شيئًا من الحدث ولو بشكل مختصر للتبرك بذكر الرسول الأعظم ﷺ وذكر أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وليكن ما يرد في هذا العرض إثباتًا موثقًا لما أشرنا ونشير إليه لاحقًا:

في الخبر، قال[٤]:

إنه ﷺ بلغ ودعا إلى حجة الوداع وهو بالمدينة.

وفي الخبر أيضًا:

- عدة من خرج تسعون ألفًا - أو مئة وعشرون ألفًا، وأما من حج فأكثر.

وفي الخبر أيضًا:

- فلما قضى مناسكه وانصرف راجعًا إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله : (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) (المائدة : ٦٧)، وأمره أن يقيم عليًا علمًا للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد.

وفي الخبر أيضًا - وكان أوائل القوم قريبًا من الجحفة فأمر رسول الله أن يُرد من تقدم منهم ويُحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات[٥] عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم[٦] ما تحتهن، حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن، فصلى بالناس تحتهن، وكان يوما هاجرًا[٧] يضع الرجل بعض ردائه على رأسه، وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء[٨]، وظُلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس.

فلما انصرف ﷺ من صلاته، قام خطيبًا وسط القوم على أقتاب[٩] الإبل وأسمع الجميع، رافعًا صوته، فقال: الحمد

لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ..... إلى آخر الخطبة المباركة الشريفة.

وفي الخبر أيضًا:

- ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنأه في مقدم الصحابة: أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان : إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتًا تسمعهن، فقال : قل على بركة الله، فقام حسان فقال:

ينادي بهم يوم الغدير نبيهم
بخم فاسمع بالرسول مناديا[١٠].

نعود هنا إلى موضوعنا في بحث الأداء والأثر الإعلامي لدلالات هذه الحادثة المباركة، ونشير إلى أمور منها:

أولًا:

إن الواقع التاريخي لهذه التفاصيل لا يساعد أبدًا على إغفال أن الحادثة دخلت بشكل أو بآخر في ركن أساسي من أركان الإسلام وهو الحج، ولو أنها لم تدخل في مناسكه وتفاصيله الشرعية، فالناس لا زالوا يسيرون في ركاب الرسول الأعظمﷺ ويقتدون به في طريق عودتهم، وما يصدر عنه في ذلك يدخل، وإن لم يكن بشكل مباشر، في ما يتعلق بالفريضة، وهذا الأمر أعطى للحادثة زخمًا إعلاميًا كبيرًا ساعد على انتشارها ووصول تفاصيلها إلى القاصي والداني. ويمكن للباحث أن يؤسس على مثل هذه الفكرة الكثير من الاستنتاجات المهمة.

وهنا أود أن أشير إلى أمر يرتبط بالحج أيضًا، فقد اختار الرسول الأعظمﷺ وقت ما بعد الحج لما تنطوي عليه النفوس بعد أداء الفريضة من الراحة النفسية التي يستشعرها الحاج والتي تميل به إلى التسليم المطلق بمحبة وإخلاص لما في دينه، وما يصدر عن الرسول الأعظمﷺ من الواجبات والتعاليم، وربما يعرف هذا الأمر من تشرف بالحج أو العمرة، وقد كان لذلك أثر بالغ في النفوس، ساعد بعد ذلك على نسيان الأحقاد وانتشار الألفة وقبول أوامرهﷺ ونواهيه، إلا من حرم مثل هذا التوفيق بعد ذلك من أهل النفاق، فناصب أمير المؤمنينعليه السلام العداء وبدل وحرف ولم يقبل ما وصى به الرسول الأعظمﷺ، ومن هؤلاء من نزلت في حقه (**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**) (المعارج: ١) والحادثة معروفة وسبب نزول السورة مذكور في كتب التاريخ والتفاسير.

ثانيًا:

من الواضح إن الأمر بعد صدوره وتبليغه بهذه الصورة وتفاصيلها اتخذ طابعًا سياسيًا، وهو بذلك أشبه بصدور مرسوم من الدولة الإسلامية ورئيسها الرسول الأعظمﷺ بولاية العهد كما هو متبع، أو اتبع فيما بعد في سياسات الدول في إعلان ولاية العهد لمن يخلف الحاكم على الناس بعد رحيله، وهذا الإعلان السياسي لا يمكن أن يغفل من الناس إذا تفرقوا إلى شؤونهم، فهم بعد هذه الحادثة الجليلة المباركة على علم وثقة تامين بما سيكون عليه حال الأمة بعد رحيل زعيمها، ولمن ستؤول الزعامة من بعده.

ثالثًا:

وهذا أمر أشار إليه أكثر الباحثين لكننا نذكره هنا للتنبيه على أثره الإعلامي، وهو اختيار الزمان والمكان، فقد نبه العلماء

الأعلام على مر العصور أن الجحفة التي هي قريبة من غدير خم هي مفترق طرق الحاج، والتجمع والإبلاغ فيها على هذه الصورة في مثل هذا الوقت من الحر والقيظ كما وصفه الرواة، وكذلك حبس من تأخر وإرجاع من تقدم، والصلاة الجامعة، كل ذلك عوامل تدخل في ضمن الأداء الإعلامي لشأن وأمر جلل هو بالمصطلح السياسي عقد ولاية العهد كما عرفناها على الصورة التي وردت في الأخبار. ولا حاجة إلى كثير من التفصيل في هذا الشأن الذي فصل فيه العلماء بدقة، لكن كان لابد من الإشارة إلى الفعل والأداء الإعلامي في هذا التفصيل المهم.

رابعًا:

إن دارسي الخطاب Discourse اليوم لا يعتنون كثيرًا - من ناحية دراسة فعله في الأداء - بمضمون الخطاب بقدر اعتنائهم بوسائل التوصيل المعتمدة في أدائه، فإذا أردنا تحليل الخطبة الشريفة من هذا الجانب يمكننا أن نكتفي ببعض ما انطوت عليه من أفعال ساعدت بشكل كبير على ترسيخ المضمون، وتحقيق الغاية، إذ يمكن الوقوف عند بعض المفاصل المهمة من الرسالة Message، وأداء المرسل Sender، ورد فعل، أو مشاركة وتفاعل المستجيب Recipient أو Receiver لها، ومن ذلك ـ مثلًا ـ كسر نسق الانسيابية في الحديث، والانتقال إلى الحوارية والمشاركة عن طريق السؤال والاستفسار والمطالبة بالجواب:

ففي الخبر إنه ﷺ قال: وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرًا، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، و أن محمدًا عبده ورسوله.

قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. .....

وهنا يبلغ الخطاب ذروته مع هذا الأداء الحركي، وما نلاحظه في ذلك هو التصاعد في استعمال الأدوات وصولًا إلى الذروة الحركية، والحركة في الأداء مقاربة في فعلها للصورة في الإعلام المرئي - وهي كما يعرف الإعلاميون - أبلغ في التأثير من المسموع إذا انطوت على فعل حركي بهذه الجمالية كما وصفها الرواة، فمن لم يعتن بالمضمون لأي سبب من الأسباب، لا يسعه أبدًا أن يغفل هذه الحركة التي ظلت على امتداد التاريخ مقترنة بالحديث المتواتر حذف منه من حذف وشوه فيه من شوه، لكن الحركة ظلت مقترنة بكل تفاصيلها الرائعة بالحديث أو الحدث وهنا كما أشرنا بلغ الأداء الإعلامي ذروته وتوجهت الأفئدة والأسماع والأذهان والعقول لما سيأتي من إعلان ولاية العهد.

خامسًا:

التكرار توكيد واضح على جلال وعظمة الأمر وفي الخبر أنه ﷺ كررها ثلاثًا، وفي خبر الإمام أحمد أربعًا، وكلنا يسلم هنا بما لهذا التكرار من أثر وفعل في توكيد الرسالة، وهو من بديهيات الخطاب في كل أحواله، حتى في الحياة اليومية الاعتيادية فكيف به وهو في حدث بهذه العظمة.

سادسًا:

الأمر بالتبليغ، ووجوب ذلك على المسلمين، قال ﷺ كما في الخبر: ألا فليبلغ الشاهد الغايب، وقد وجب التبليغ بذلك، شأنه شأن الواجبات الأخرى التي التزم بها المسلمون اتباعاً وتنفيذًا لصدور الأمر النبوي الشريف، وهذا فعل وأداء إعلامي لا يقتصر على زمن الحادثة المباركة، بل هو ممتد في المستقبل، وهو الذي ساعد بالتالي على اعتناء علماء المسلمين عناية خاصة بالحديث امتثالًا لأمر التبليغ، حتى أفرد بعض كبار علماء التاريخ والحديث من كل الفرق الإسلامية مصنفات خاصة فيه.

سابعًا:

الأمر بالسلام على ولي العهد المنصّب صلوات الله عليه من قبل الرسول الأعظم ﷺ بإمرة المؤمنين، وهذا مشهور معروف ذكره من ذكره وجحده من جحده، وهو غير منكر عند كثير ممن روى الحديث، وفي بعض التفاصيل إن الرسول الأعظم ﷺ نصب لأمير المؤمنين خيمة جلس فيها لتلقي البيعة[١١].

ثامنًا:

نزول الوحي بآية الإكمال وإتمام النعمة[١٢]، والشكر الصادر عن الرسول الأعظم ﷺ في ذلك، مضمومًا إليه إيذانه ﷺ لشاعره حسان بالإنشاد ليقترن الحدث بالقرآن أولًا ثم بالشعر كما هو حال ما جرت عليه الثقافة العربية، إذ الشعر هو ديوان العرب وسجل تاريخهم.

وقبل الختام أود أن أشير إلى أن البحث كان يمكن له لو وجد من الوقت والجهد ما يكفي ان يربط الأداء الإعلامي بمقومات التأثير المسرحي خاصة وإن توفر الحادثة على كثير من الأجواء الدرامية والتصاعد نحو الذروة وإشراك المتلقي في الأداء وتهيئة ما يدعى بالـ Setting[١٣] كما يرد في ما يتعلق بأدوات الـ Narration أو الـ Narrative[١٤]، وكذلك ما أشرنا إليه في أول البحث من الاستعانة بالمشهد التمهيدي، وكثير من التفاصيل الأخرى المقاربة، وذاك مستوى آخر من مستويات المعالجة النقدية في دراما الحدث التاريخي، خاصة وأن بعض المدارس المسرحية المتأخرة استعانت في أوربا بموضوعة إشراك الجمهور كما في مسرح برشت الألماني في أداء الخطاب.

وقد كنت أتمنى أن أجد من الوقت ما يكفي للمقاربة من خلال الاستشهاد بفاعلية الخطاب وفق ما أدته المدارس المسرحية قديمًا وحديثًا، باعتبار أن عنصر الحضور، أو الـ Audiences وتأثيره كان متوفرًا بشكل فاعل في الحادثة المباركة، وهذا يخرج الحدث من دائرة الأداء الإعلامي التقليدي في المرئي والمسموع والمقروء إلى دائرة الفعل المباشر الذي يستعين على أداء الخطاب بالحضور التفاعلي التام (أكثر من نقل مباشر) وليس النقل كما هو معمول به في إعلامنا اليوم، وهو بالتالي يكون أكثر تشويقًا وفاعلية، كما إن المقاربة في القراءة المسرحية الدرامية في سياق الحدث التاريخي، تكون أجدى وأكثر تشويقا؛ لأن معالجة الحدث بمنظور الجماليات الفنية ينقله من مجرد حدث إعلامي إلى حدث فني رائق يقترب من الروح البشرية وانفعالات النفس أكثر مما هو في تجريده الواقعي■

---

١) محاضرة قدمت على هامش مهرجان الغدير الإعلامي الدولي في النجف الأشرف – ٢٠١٣.

٢) والحديث في مفهوم الخطاب أو الرسالة

من الوجهة العلمية فيه الكثير من التفاصيل التي يمكن لها أن تشكل موضوعا مستقلا، وهي بالفعل كذلك اليوم إذ يدرس الخطاب أو Discourse بشكل مستقل من جهة الأداء والتوصيل والمؤدي والمؤدى إليه دون كثير من العناية بالمؤدى باعتبار أن كل خطاب ينطوي على معناه الخاص المختلف والمتباين بحسب الهدف.

٣) تمنيت على المستمعين أثناء تقديمي لهذه المحاضرة، ان لا يساء فهم المقارنات التي اعتمدها بين المسرح والحادثة المباركة، وان لا يكون ما هو مرتكز جهلا في عقول البعض عن المسرح هو المعيار لفهم هذه المقارنات، ومع هذا التمني، فوجئت بأحد الجهلة ممن لا يعرف من المسرح إلا ما يشاهده على التلفزيون من تهريج، وهو يرفض هذه المقارنات بمزايدة رخيصة.

٤) وقد استعنت هنا بالملخص الذي ذكره الشيخ الاميني رضوان الله تعالى عليه في غديره مع بعض التصرف للاختصار.

٥) أي أشجار.

٦) أي كنس، وجمع ما فيه من القمامة.

٧) شديد الحرارة.

٨) حرارة الأرض والتراب.

٩) جمع قتب، وهو ما يوضع على ظهورها، شبيه بالكرسي الخشبي، وهو بمثابة السروج التي توضع للأحصنة والخيل.

١٠) رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقا، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقا، والجزري المقري من ثمانين طريقا، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقا، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقا.

١١) و في كثير من المصادر المعتبرة عبارة: ((بخ بخ لك يا ابن ابي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)) التي صدرت عن بعض الصحابة كانت مرافقة لرواية الحديث وهذه العبارة على جانب كبير من الأهمية وهي تحمل معاني ودلالات لا مجال هنا للحديث في تفاصيل ما أثارته من إشكالات لاحقا في تفسير معنى الولي والمولى، فنحن هنا بصدد الكلام عن الجانب الإعلامي، وعلينا الالتزام بموضوع المحاضرة بعيدا عن خصوصيات ما ترتب على الحادثة بعد ذلك.

١٢) ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) سورة المائدة : الآية ٣.

١٣) مصطلح نقدي ليس له في العربية من مقابل مفرد يؤدي محتواه ؛ لأنه مرتبط بفنون القص والروي والتي هي نتاج ثقافي أوربي بامتياز، ويعني مكان وقوع الحدث بما ينطوي عليه من مفردات تشكل مجمل صورة المشهد.

١٤) هو فن القص أو الروي، أو الحكي، وله في الانجليزية دلالات نقدية يصعب الاحاطة بها بمصطلح عربي مماثل، لعدم وجود ما يماثله في الثقافة العربية من فنون أو آداب، الا ما ظهر من محاكاة وتقليد في المئة سنة الأخيرة في القصة القصيرة والرواية، وقد حاول بعض المترجمين استبداله بكلمة (السرد) العربية، وتلقفه عنهم من كتبوا في نقد القصة والرواية فيما بعد، والواقع ان مفردة السرد لا تفي بمعاني الـ Narration أو الـ Narrative كما هي في بيئتها الثقافية المنتجة لها، وهذه ليست اشكالية جديدة في النقل والترجمة، بل هي من كوارث الثقافة العربية التي تتلقف المترجم كما هو وتظنه الغاية في التحديث الثقافي.

شعر حسان بن ثابت في يوم الغدير

استأذن حسّان بن ثابت النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير ليقول شعرًا في المناسبة.

فقال صلى الله عليه وآله: قل على بركة الله.

فقام حسّان فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخم فأسمع بالرسول مناديا

وقد جاءه جبريل عن أمر ربّه ... بأنّك معصوم فلا تك وانيا

وبلّغهم ما أنزل اللهّ ربّهم ... إليك ولا تخش هناك الأعاديا

فقام به إذ ذاك رافع كفّه ... بكفّ عليّ معلن الصوت عاليا

فقال : فمن مولاكم ووليّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا

إلهك مولانا وأنت وليّنا ... ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا

فقال له : قم يا عليّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللّهمّ والِ وليّه ... وكن للّذي عادى عليّاً معاديا

فيا ربّ انصر ناصريه لنصرهم ... إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا

وكان ذلك بمسمع من النبي صلى الله عليه وآله وبإذنه، ثم أقرّه واستحسنه.

(موسوعة الغدير/ الأميني/ ج٢ص٣٩)

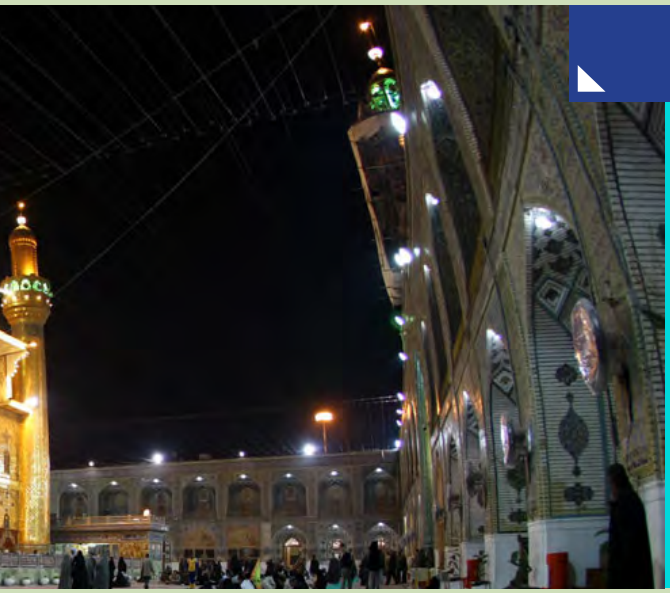

طروحات عامة

النجف الأشرف عاصمة المرجعية الدينية وصلتها بمدرسة أهل البيت عليهم السلام

م.د. ثائر عباس النصراوي جامعة الكوفة - كلية التربية

ينابيع

يقترن دائمًا تاريخ النجف وعنوانها الحضاري بشخصية الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، إذ عُدّت هجرته في حدود منتصف القرن الخامس الهجري من بغداد إلى النجف إثر محنة امتحن بها تاريخنا الإسلامي وبلدنا العزيز، تأسيساً لمدرسة النجف الفكرية،ونقلةً للمرجعية الدينية متمثلة به، وانعطافاً متميزاً في تاريخ هذه الحاضرة.

ولعل اختيار الشيخ أبي جعفر الطوسي لهذه المدينة لكي تكون موطناً له ومن ثم مركزاً قيادياً للمسلمين يرجع إلى عدة أبعاد هي:

أولاً: البعد القدسي: ويتمثل هذا البعد بالآتي:

١. كون النجف الأشرف مدينة مقدسة تضم مرقد الإمام علي عليه السلام.

٢. هذا البعد يمتد تاريخياً ليصل إلى وجود العديد من قبور الأنبياء مثل آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام كما تؤكد ذلك الروايات.

٣. وجود مقبرة مقدسة وهي مقبرة وادي السلام التي دفن فيها العديد من الصالحين.

٤. وجود العديد من الأضرحة المقدسة والمعالم الدينية البارزة مثل مسجد الكوفة والسهلة ومسجد الحنانة وغيرها.

ثانياً: البعد العلمي: ويقوم هذا البعد على الأصول العلمية لمدرسة الكوفة التي نشأت بعد أن اتخذها الإمام علي عليه السلام عاصمة للمسلمين، إذ ازدهرت أو ازدادت ازدهاراً ورسوخاً في أيام الإمام الصادق عليه السلام

في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة وما يليه، وهذا يمثل الجانب العقدي والفقهي، فضلًا عن الجانب اللغوي المتمثل بعلماء مدرسة الكوفة من أمثال : أبي الأسود الدؤلي والرؤاسي ومعاذ الهراء والكسائي والفراء والأحمر وثعلب وغيرهم.

ثالثاً: البعد الحضاري: هذا البعد يرتبط بمنطقة الحيرة الحضارية المجاورة المعروفة بعطائها وآثارها الحضارية التي ظلت شاخصة حتى عهد قريب متمثلة بقصري الخورنق والسدير.

رابعاً: البعد التاريخي: المتمثل بالتاريخ العريق للمدينة من مرور إبراهيم الخليل عليه السلام بها وما حدث في زمنه وكيفية تسميتها باسم (بانيقيا) والحادثة المشهورة المصاحبة لهذه التسمية، فضلًا عن قربها من الآثار التاريخية في مدينتي بابل وأور التاريخيتين.

خامساً: البعد الجغرافي: المتمثل بأن ظهر الكوفة (وهي النجف) ربوة عالية وذات هواء نقي مما جعلها مدينة سياحية وترفيهية لأمراء بني العباس.

فكل هذه العوامل قد ساعدت في اختيار مدينة النجف الأشرف كعاصمة للمرجعية الدينية الشيعية متمثلة بالشيخ الطوسي.

مدينة النجف وصلتها بمدرسة أهل البيت عليهم السلام:

وبناءً على ما سبق فقد تأتى للنجف بعد هجرة الطوسي إليها واتخاذها موطناً له أن تنشط الحركة العلمية نشاطاً ملحوظاً حتى ظل هذا النشاط متأصلاً وممتداً إلى هذا الوقت ما خلا مدداً قصيرة.

وكان طبيعياً أن تتسع عبر كل هذه الحقب دائرة المعارف التي يتلقاها الدارسون في حاضرة النجف، وخاصة تلك الدراسات المتعلقة بالعلوم الشرعية واللغوية وما نتج عنها من مصنفات وآثار مختلفة كلها أو أغلبها متصلة بمدرسة أهل

البيت عليهم السلام وبخاصة الناحية العقدية من هذه المدرسة، إذ حاول أعلام هذه المدينة معالجة خصائص الفكر الإمامي وإبرازها في مسائل العقيدة وذاتيته المتميزة عن غيره من الفرق الإسلامية وخصوصًا المعتزلة. وفي هذا رد على من قال بتبعية الفكر الإمامي للمعتزلة وهذه الشبهة متأتية من تشابه المنهج المتخذ من المذهبين كليهما في معالجة بعض القضايا العقدية وهذا ما اتفق عليه الباحثون من أن الضرورات التاريخية قد ألحت على المسلمين في مرحلة ما من تاريخهم وخصوصاً القرن الثاني الهجري من الانفتاح على البحث العقلي الكلامي والانتقال في مباحث العقيدة وطريقة التفكير الديني إلى مرحلة جديدة تمتاز باستحداث منهج جديد في الفكر لم يسبق للمسلمين معرفته، ويمكن إجمال هذه الضرورات بما يأتي[1]:

أولاً: انفتاح المسلمين على حضارة اليونان الذي تمثل بوضوح في حركة الترجمة السريعة لتراثهم العلمي لا سيما ما يختص منه بالفلسفة والمنطق والعقيدة.

ثانياً: بروز حركة الإلحاد والزندقة في الوسط الإسلامي، وقد حرص زعماؤها على استغلال الطريقة العلمية المنطقية في دعم تشكيكاتهم ومقولاتهم.

ثالثاً: تطور العقيدة الإسلامية إثر الابتعاد عن عصر النصوص ومواجهة أسئلة عقائدية بدأت تتزايد بصورة طبيعية، تنبثق باستمرار، الأمر الذي دفع إلى محاولة الإجابة الشاملة عن تلك الأسئلة.

وأمام هذه التحديات التاريخية ظهر اتجاهان لتحديد الموقف هما[2]:

١. **الاتجاه التقليدي المحافظ:** ومثله السلف والمحدثون.

٢. **الاتجاه التحرري المنفتح:** ومثله (العدلية) كما اصطلح عليهم.

وكل من الاتجاهين كان يقصد الدفاع عن ساحة العقيدة واكتساب النصر لها وإنما اختلفوا في طريقة ذلك، فالمحدثون رأوا أن مهمة الدفاع عن العقيدة تقتضي الإمساك بالزمام سريعاً وسدّ الباب أمام موجة الانفتاح الفكري، وأمام كتب اليونان، وأمام العقلية الجديدة، وأمام شبهات الإلحاد الموسومة بالطابع المنهجي والبقاء المطلق على ظاهر النصوص (قرآناً وسنة)، ومن هنا أعلنوها حرباً ضدّ الاتجاه الثاني المتمثل بالمتكلمين حتى قيل لا تجوز الصلاة خلف المتكلم، ومن هنا جاءت الدعوات إلى نبذ علم الكلام والمتكلمين في تاريخنا الإسلامي.

أما الاتجاه الثاني فقد رأوا أن المواجهة الصحيحة تقتضي الترحيب بالمنهج العلمي الجديد وهضمه جيداً ومن ثم الانطلاق منه والطريقة نفسها لدعم المعتقد الديني.

وبين هذين الاتجاهين نجد مدرسة أهل البيت متمثلة بالأئمة عليهم السلام المتفهمين لأبعاد هذه الضرورات التاريخية والفكرية، بدليل أنهم كانوا هم المرجع العلمي للعلماء كافة وبمختلف الميادين حتى نجد أن الحسن البصري الذي هو من أبرز العلماء والوعاظ في عصر التابعين يكتب للإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام يسأله عن رأيه في مسألة القضاء التي أغلقت عليه، وكذلك فإن عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة يستعلم من الإمام السادس من أهل البيت جعفر بن محمد عليه السلام عن عدد كبير من قضايا التفسير وغيره، لذا كان موقفهم عليهم السلام في مواجهة المشكلة يعتمد على أساس الثقة بالمعتقد الديني والثقة في الوقت ذاته

بالتفكير العقلي والمنطقي، ومعنى هذا أنهم انطلقوا من الرواية القائلة بأن حجج العقل لا تصطدم مع المعتقد الديني، بل هي دائماً في صالح العقيدة، ومن هنا فلا خطر من الانفتاح العقلي على هكذا معضلات فكرية، وهذا الأمر هو الذي أدى ببعضهم إلى القول بتبعية الشيعة للمعتزلة.

بالإضافة إلى أن كلًّا من الشيعة والمعتزلة قد نهضوا بأعباء المهمة العلمية وهي مهمة الدفاع عن المعتقد الديني بما يناسب المرحلة، بينما ظل الآخرون في حالة من الانغلاق، وكذلك فإن كثيراً من المعتزلة قد تحولوا إلى المذهب الشيعي الإمامي، فضلاً عن تلمذة العديد من رجال الفرقتين على يد الفرقة الأخرى فبعض رجال المعتزلة تتلمذوا على يد الشيعة، وبالعكس كذلك، وكان لهذين السببين الأخيرين أكبر الأثر في القول السابق وهو (تبعية الشيعة للمعتزلة)، فضلاً عن كل ما سبق نجد أنه من رجال الشيعة والسنة نشأت ما تسمى بفئة المتكلمين وهم الذين واجهوا وبإصرار حركة الإلحاد والزندقة، وحصنوا العقيدة الإسلامية ضدّ أمثال هؤلاء المنحرفين، وفي هذا الصدد يمكن ملاحظة أمرين هما[٣]:

١. أن مدرسة أهل البيت في الوقت الذي تحركت في المجال العقيدي وسعت لإشباع حاجة المرحلة لم تنسَ أنها ذات مهمة شمولية يدخل في دائرتها كل ما يرتبط بالدين سواء على المستوى الفكري أو الخلقي أو السياسي. وسواء في العقيدة أو الفقه.

وحاجة الأمة في هذه المرحلة لم تقتصر على جوانب العقيدة وضرورة تأطيرها وصياغتها بشكل أنسب، وإنما كانت الحاجة مماثلة في الفقه أيضاً من خلال بيان ما هو حلال أو حرام، إذ اتسع أفق الناس في علاقاتهم وطريقة معيشتهم وصنوف تعاملهم بينما هم يبعدون بالتدريج عن عصر النصوص، ولأجل ذلك كانت الضرورة ملحة أيضاً في التوفر على هذا الجانب ـ أي الفقهي ـ وخلق فئة الفقهاء لإشباع هذه الحاجة.

وهنا كان أهل البيت عليهم السلام في قلب الساحة أيضًا وعلى تفهّم تام لمستوى الحاجة وبذلك اندفعت مدرستهم لملء هذا المجال كما اندفعت من قبل لملء المجال العقائدي.

وقد كانت العناية بهذين المستويين مهمة للغاية، وتمثلت هذه العناية بظاهرة (التخصص) عند تلاميذ هذه المدرسة، ففئة تخصصت بالجانب الفقهي من أمثال زرارة ومحمد بن مسلم وأبو بصير، وفئة تخصصت بالجانب العقائدي من أمثال هشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاق وغيرهم.

وبهذه الطريقة وفقت هذه المدرسة للإجابة العملية ـ لا فقط النظرية ـ على مخاوف وشكوك الاتجاه التقليدي السلبي، حيث خيل لأربابه أن الانفتاح على البحث العقلي الكلامي يعني التقدم على حساب صالح الفقه ـ قرآناً وسنة ـ ففي تصورهم يوجد تقابل حديّ بين الفقه والكلام، يوضح ذلك الكلمة المنسوبة إلى إمام الشافعية: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر، ينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام)[٤]. وكذلك قوله: (مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط،

وتشريدهم في البلاد)[٥].

هذا التصور أجابت عنه عملياً مدرسة الشيعة التي أخذت على عاتقها التفرغ لكل من المهمتين، والتوفيق بين العقل والدين.

وبهذا يمكن أن نسجل نقطة امتياز للشيعة على المعتزلة الذين يسيرون على الخط نفسه، إذ لوحظ أن الاهتمام الكلامي عند المعتزلة أحدث عندهم انحساراً عن المهمة الفقهية فتركوا الساحة لغيرهم ـ إلا ما ندر ـ وربما كانوا يعولون في ذلك على تفرغ المحدثين لهذه المهمة.

٢- وبحكم صعوبة البحث الكلامي، وجدته في الوقت نفسه، وخطورة موضوعه، كان إطلاق العنان لكل الناس في خوضه والإمعان فيه شيئاً غير صحيح، ولعل هذه الخطورة هي التي حدت بالسلف والمحدثين إلى الوقوف بوجه البحث الكلامي وعده بدعة وضلالاً، وبلا شك، كان الإيغال في هذه المباحث سبباً مساعداً في ظهور حركة الإلحاد والزندقة التي سندت نفسها بطابع العلمية والمنهجية، وتحسباً لهذه العواقب، وتحفظاً منها، كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يرقبون باهتمام المشتغلين بعلم الكلام، فيجيزون بعضاً و ينهون آخرين.

فقد روي إن الإمام الصادق عليه السلام نهى رجلاً عن الكلام وأمر آخر به، فقال له بعض أصحابه : جعلت فداك، نهيت فلاناً عن الكلام وأمرت هذا به ؟ فقال : هذا أبصر بالحجج وأرفق منه.

وهناك رواية أخرى عن عبد الأعلى مولى آل سالم، قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق)عليه السلام: إنّ الناس يعيبون عليّ بالكلام وأنا أكلّم الناس، فقال: أمّا مثلك من يقع ثمّ يطير فنعم، وأمّا من يقع ثمّ لا يطير فلا[٦]، وبهذا نستطيع أن نفسر بعض ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في النهي عن الاشتغال بعلم الكلام.

وهنا نلاحظ دور مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مواجهة التحديات الجديدة التي هجمت على الأمة الإسلامية في عصورها الأولى فكان أهل البيت عليهم السلام هم الحصن الذي تلتجئ إليه الأمة، واستمر هذا الدور مع مدرسة النجف الأخرى في مختلف العصور، لأنها تمثل خط أهل البيت عليهم السلام بكل أبعادها بل إن الوظيفة الأساسية للمرجعية الدينية هي ردّ الشبهات التي تواجهها الأمة والحفاظ على عقيدة المسلم مما يضرها من نظريات سواء كانت فكرية أو سياسية أو غيرها مما يأتي باسم التحديث والتجديد والتطوير وهذا ما فعلته الحوزة الدينية في التاريخ الحديث وخصوصاً مع بدايات القرن العشرين بالتصدي للأخطار الفكرية التي واجهت الأمة الإسلامية متمثلة بالوجودية وحركات الإلحاد والنزعات التجريبية والوضعية والشيوعية وغيرها من نزعات تبتعد عن الدين وعن العقيدة فانبثقت عن ذلك أسئلة عقائدية جديدة وجب التصدي لها ورفضها كما حدث لعدد غير قليل من علمائنا المحدثين و المعاصرين■

---

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد /محمد بن الحسن الطوسي/ ص١ من التقديم.

(٢) المصدر نفسه / ص ٢-٣.

(٣) المصدر نفسه/ ص ٤-٧.

(٤) سير أعلام النبلاء/الذهبي/ج١٠ ص٢٩.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) بحار الأنوار/المجلسي/ج٢ ص١٣٦.

طروحات عامة

الغدير في دعاء الندبة

د.خليل خلف بشير / جامعة البصرة – كلية الآداب

ينابيع

تعدّ واقعة غدير خمّ من أهمّ قضايا الأمة الإسلامية؛ فهي الواقعة التي تحدد اتجاه مسير الأمة الإسلامية ومستقبلها، بل ومستقبل العالم، وهي من الأحداث التاريخية الهامة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله ﷺ في السنة الأخيرة من حياته المباركة فهي الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة، فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتوج فيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتاج الخلافة والإمامة،وهذه الواقعة هي مفترق طرق بين المذاهب الإسلامية[١]، ولذا يحق لمن عبّر عن الغدير بأنه: (نظرية النص التي صاغها البيان النبوي يوم الغدير لتكون التفسير الشرعي لاستحقاق الإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ[٢]، وقد بُني مسجد سمي بمسجد الغدير على أثر وقوف الرسول الأكرم ﷺ فيه بعد الرجوع من حجة الوداع، وإعلان الإمامة والخلافة والولاية لأمير المؤمنين عليه السلام بيد أنّ المسجد قد طمره النواصب على مر العصور، وهي محاولة لإطفاء جميع شواهد التاريخ الناطقة بإمامة أهل البيت عليهم السلام[٣].

وكانت العناية الإلهية كفيلة بحفظ هذا الحديث في الصدور لتتداوله الألسن وتتناقله الأجيال لاسيما وأنّ رسوله ﷺ أمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كلهم رواة لهذا الحديث، وهم يربون على مائة ألف، ولم يكتفِ سبحانه بذلك حتى أنزل أمره في آيات من الذكر الحكيم تتلى بكرة وعشياً ليكون المسلمون على علم ودراية بهذه القضية في كل حين، وليعرفوا رشدهم والمرجع الذي يجب عليهم أن يأخذوا عنه معالم دينهم[٤].

وتجلت هذه العناية الإلهية بتخليد حادثة

الغدير في الذكر الحكيم في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ * وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ * وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ * إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) (المائدة: ٦٧)، ولما بلّغ الرسالة بنصه على علي عليه السلام بالإمامة وعهده إليه بالخلافة أنزل تعالى قوله: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**)(المائدة: ٣) عن عناية الرسول صلى الله عليه وآله بالحادثة حينما صرّح للناس بهذا الأمر الإلهي، ولم يختلف أئمة الهدى عليهم السلام عن جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله في تذكير الناس بالحادثة فكانوا يتخذون من اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عيداً في كل عام يجلسون فيه للتهنئة والسرور بكل بهجة وحبور، ويتقربون إلى الله تعالى بالذكر والصلوات والصيام والغسل والابتهال بالأدعية وكانوا يتخذون هذا اليوم عيداً يصلون فيه أرحامهم، ويوسعون على عيالهم، ويزورون إخوانهم، ويحفظون جيرانهم، وكذلك يفعل شيعتهم ومحبوهم[٥].

وقد بذل الشيخ الأميني جهداً كبيراً في موسوعته الموسومة (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) في تقصي رواة حديث الغدير من الصحابة والتابعين، وجمع الشعر الذي قيل في الغدير على مختلف القرون، ومثل ذلك في موسوعة (عبقات الأنوار) لمؤلفها السيد حامد حسين الهندي، إذ كشف فيه عن أسانيد الحديث تفصيلاً، وضبط طرقه ورواته، ونقد من ذهب إلى عدم تواتر الحديث، كاشفاً خطل هذه الدعوى وعدم صوابها بأدلّة دامغة وافية[٦].

ولما كان القرآن نصاً مقدساً من أقدس النصوص فقد ابتدأ بالتناص القرآني لآيات تحكي دور الرسالات السماوية في هداية الناس فضلاً عن بيانه عصمة أهل البيت عليهم السلام، وأجر الرسالة المحمدية الذي اقترن بمودة أهل بيته عليهم السلام فقال: وَجَعَلْتَ لَهُ وَلَهُمْ (**اَوَّلَ بَيْت وُضِعَ لِلنَّاس لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلْعالَمينَ**)[٧]، (**فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ ابْراهيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمناً**)[٨]، وَقُلْتَ (**انَّما يُريدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْت وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً**)[٩] ثُمَّ جَعَلْتَ اَجْرَ مُحَمَّد صَلَواتُكَ عَلَيْه وَآله مَوَدَّتَهُمْ في كتابكَ فَقُلْتَ: (**قُلْ لا اَسْاَلُكُمْ عَلَيْه اَجْراً الاَّ الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبى**)[١٠] وَقُلْتَ (**ما سَاَلْتُكُمْ منْ اَجْر فَهُوَ لَكُمْ**)[١١] وَقُلْتَ: (**ما اَسْاَلُكُمْ عَلَيْه منْ اَجْر الاّ مَنْ شاءَ اَنْ يَتَّخِذَ اِلى رَبِّه سَبيلاً**)[١٢]، فَلَمَّا انْقَضَتْ اَيّامُهُ اَقامَ وَلِيُّهُ عَليَّ بْنَ اَبي طالب صَلَواتُكَ عَلَيْهِما وَآلِهِما هادِياً، اذْ كانَ هُوَ الْمُنْذِرَ (وَلِكُلِّ قَوْم هاد[١٣]...))[١٤].

وهذا التناص القرآني أمر ممهد لحديث الغدير الذي يوكل أمر المسلمين إلى ربيب النبوة الإمام علي عليه السلام الذي نصّبه النبي صلى الله عليه وآله بأمر إلهي أميراً للمؤمنين، إذ إن منصب الإمامة لا يتعين إلا بأمر إلهي، فالإمام ـ بصفته مرجع المسلمين، ومنعقد طاعتهم وقدوتهم في أمر الدين والدنيا ـ يجب أن يكون حامل علم النبي صلى الله عليه وآله، وعلم الوحي والأوامر الإلهية[١٥].

ثم يأتي دور التناص الحديثي فنجد النص الدعائي مشحوناً بكثير من الأحاديث النبوية التي قالها النبي صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام بقوله: وَقالَ اَنَا وَعَليٌّ مِنْ شَجَرَة واحدَة وَسائرُ النّاسِ مِنْ شَجَر شَتّى[١٦]،

وَاَحَلَّهُ مَحَلَّ هارُونَ مِنْ مُوسى، فَقال لَهُ اَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَة هارُونَ مِنْ مُوسى الّا اَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي[١٧]، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ سَيِّدَةَ نساء الْعالَمينَ، وَاَحَلَّ لَهُ مِنْ مَسْجِده ما حَلَّ لَهُ، وَسَدَّ الأبْوابَ إلاّ بابَهُ، ثُمَّ اَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ فَقالَ: اَنَا مَدينَةُ الْعِلْم وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ اَرادَ الْمَدينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَاْتِها مِنْ بابِها[١٨]، ثُمَّ قالَ: اَنْتَ اَخي وَوَصِيّي وَوارِثي[١٩]، لَحْمُكَ مِنْ لَحْمي وَدَمُكَ مِنْ دَمي وَسِلْمُكَ سِلْمي وَحَرْبُكَ حَرْبي وَالإيمانُ مُخالِطٌ لَحْمَكَ وَدَمَكَ كَما خالَطَ لَحْمي وَدَمي، وَاَنْتَ غَداً عَلَى الْحَوْض خَليفَتي وَاَنْتَ تَقْضي دَيْني وَتُنْجِزُ عِداتي وَشيعَتُكَ عَلى مَنابِرَ مِنْ نُور مُبْيَضَّةً وُجُوهُهُمْ حَوْلي[٢٠] في الْجَنَّة وَهُمْ جيراني، وَلَوْلا اَنْتَ يا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدي، وَكانَ بَعْدَهُ هُدىً مِنَ الضَّلال وَنُوراً مِنَ الْعَمى، وَحَبْلَ اللّه الْمَتينَ وَصِراطَهُ الْمُسْتَقيمَ، لا يُسْبَقُ بِقَرابَةٍ في رَحِم وَلا بِسابِقَةٍ في دين، وَلا يُلْحَقُ في مَنْقَبَةٍ مِنْ مَناقِبِه)).

وثمة تناص قرآني آخر في الفقرة الأخيرة من الدعاء الذي يحكي مسيرة الإمام علي عليه السلام وهو: (إذْ كانَتِ الارْضُ للّه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه وَالعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ)، وهو تناص من قوله تعالى على لسان موسى: **(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)** (الأعراف: ١٢٨). وفي هذا النص عود على بدء، وارتباط خاتمته مع بدايته، إذ بدأ النص بحادثة تنصيب الإمام علي عليه السلام يوم الغدير وانتهى بسنة من سنن الله في كتابه الكريم؛ ألا وهي سنة الاستخلاف ووراثة الأرض التي وعدها الله عباده المتقين، وهو ما لم يتحقق لأمير المؤمنين عليه السلام بشكل كامل ولا لولْده الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وإنه سيتحقق إن شاء الله تعالى للإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، إذ يحكم شرق الأرض وغربها ويحقق العدالة الإلهية ويحقق حلم الأنبياء وآبائه الطاهرين، كما يُرجع كل حق مغتصب لأهل البيت ويقتص من ظالميهم[٢١].

ويمكن لنا أن نسمي التناصين القرآني والحديثي بالتناص الديني إذ نجد أن هذا الدعاء يتكيء على النص القرآني والحديث الشريف، فالقرآن الكريم بفضل فصاحته وبلاغته التي تحدى بها الله تعالى فصحاء العرب، يُعَدُّ نصاً مقدساً، ومصدراً إعجازياً أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعراً ونثراً[٢٢]. وهذا دليل على أنّ القرآن الكريم والعترة صنوان لا يفترقان لذا فالتمسك بهما يؤدي إلى الهداية لا إلى الغواية لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)[٢٣].

وثمة تناص قصصي مع قصص الأنبياء والمرسلين في دعاء الندبة لما في القصص القرآني من دور في رفد الإبداع الفني وما فيه من متعة وأناة وإغناء بالإشارة، وما له من دلالة عميقة حينما تتعانق الشخصيات القصصية في نص واحد[٢٤]، فيبدأ الدعاء بأبي البشرية جمعاء آدم عليه السلام، وينتهي بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله إذ يقول: ((فَبَعْضٌ اَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ الى اَنْ اَخْرَجْتَهُ مِنْها، وَبَعْضٌ حَمَلْتَهُ في فُلْكِكَ وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَة بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضٌ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَليلاً وَسَاَلَكَ لِسانَ صِدْق في الاْخِرينَ فَاَجَبْتَهُ وَجَعَلْتَ ذلِكَ عَلِيّاً،

وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَة تَكْليماً وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ اَخيه رِدْءاً وَوَزيراً، وَبَعْضٌ اَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ اَب وَآتَيْتَهُ الْبَيِّنات وَاَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ،. ..))[٢٥] فجاء التناص القصصي في هذا المقطع مسلسلاً من آدم الساكن في الجنة والخارج منها، ثم نوح المحمول في الفلك، ثم إبراهيم المتخذ خليلاً، ثم موسى المكلّم من شجرة تكليماً ثم عيسى المولود من غير أب - عليهم السلام -.

وثمة تناص تاريخي عرّج فيه إلى مسيرة أمير المؤمنين عليه السلام وما لاقاه من انتصارات حربية، وعداوات جاهلية تؤدي إلى قتله وإقصاء ولْده إذ يقول في ذلك: ((...قَدْ وَتَرَ فيه صَنَاديدَ العَرَبِ وَقَتَلَ أَبْطالَهُمْ وَناوَشَ ذُؤْبانَهُمْ فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقاداً بَدْرِيَّةً وَخَيْبَرِيَّةً وَحُنَيْنِيَّةً وَغَيْرَهُنَّ، فَأَضَبَّتْ عَلى عَداوَتِهِ وَأَكَبَّتْ عَلى مُنابَذَتِه حَتى قَتَلَ النَّاكِثينَ وَالقاسِطينَ وَالمارِقينَ. وَلَمَّا قَضى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشْقى الآخِرينَ يَتْبَعُ أَشْقَى الأَوّلينَ لَمْ يُمْتَثَلْ أَمْرُ رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَآله في الهادينَ بَعْدَ الهادينَ، وَالأُمَّةُ مُصِرَّةٌ عَلى مَقْتِه مُجْتَمِعَةٌ عَلى قَطيعَةِ رَحِمِه وَإِقْصاءِ وُلْدِه إِلاّ القَليلَ مِمَّنْ وَفى لِرِعايَةِ الحَقِّ فيهِمْ، فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَسُبِيَ مَنْ سُبِيَ وَأُقْصِيَ مَنْ أُقْصِيَ وَجَرى القَضاءُ لَهُمْ بِما يُرْجى لَهُ حُسْنُ المَثُوبَةِ،...))[٢٦]■

١) ينظر: علي في الكتاب والسنة / الحاج حسين الشاكري ٤٠٦/٢.
٢) موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب / العلامة الشيخ الأميني ١٠/١.
٣) ينظر: الدعاء إشراقاته ومعطياته / السيد كمال الحيدري ٢١٤-٢١٥.
٤) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب ٣٧/١.
٥) ينظر: المراجعات / السيد عبد الحسين شرف الدين ١٨٢.
٦) ينظر: موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ / محمد الريشهري ٦٣.
٧) تناص للآية ٩٦ من سورة آل عمران:٩٦
٨) تناص لقوله تعالى لجزء من الآية ٩٧ من سورة آل عمران.
٩) تناص لجزء من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.
١٠) تناص لجزء من الآية ٣٣ من سورة الشورى.
١١) تناص لجزء من الآية ٤٧ من سورة سبأ.
١٢) تناص لجزء من الآية ٥٧ من سورة الفرقان.
١٣) تناص لقوله تعالى (**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**) الرعد/٧.
١٤) بحار الأنوار ١٠٥/٩٩.
١٥) ينظر: الإمامة وأهل البيت / محمد بيومي مهران ١٨٣/١.
١٦) تناص مع حديث (وإن الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة). (بحار الأنوار ٢٨٠/٢١).
١٧) تناص مع الحديث الوارد في الخصال / الشيخ الصدوق ٢١١.
١٨) تناص مع الحديث الوارد في بحار الأنوار ١٩٩/٢٨.
١٩) تناص مع الحديث الوارد في المصدر نفسه ٣٣٤/٣٨.
٢٠) تناص مع الحديث الوارد في المصدر نفسه ٢٢٧/٣٧
٢١) ينظر: مفاهيم الغدير بين القرآن الكريم ودعاء الندبة، بحث، م.م أحمد جاسم ثاني، مؤتمر الغدير الأول العالمي، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢، ص ٩.
٢٢) ينظر: التناص في تائية ابن الخلوف، رسالة ماجستير،حياة معاش، جامعة العقيد الحاج بلخضر باتنة،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م(١٤٢٤-١٤٢٥ه)، ص٤٦.
٢٣) بحار الأنوار ٦٩/٥.
٢٤) التناص في تائية ابن الخلوف ٥٢.
٢٥) بحار الأنوار ١٠٥/٩٩.
٢٦) المصدر نفسه ١٠٦/٩٩.

أجوبة مسابقة العدد (٦٣)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ج-الحسين بن زيد بن علي.

السـؤال الثاني: ب- صريا

السـؤال الثالث: أ- ٦

السـؤال الرابع: أ-السيد مراد كمونة.

السؤال الخامس: أ- الطبرسي

السؤال السادس: أ- راويه

السـؤال السابع: أ- ١٢/ رجب/ ٣٦هـ

السـؤال الثامن: أ- عندما كثرت عليه أعداؤه يوم عاشوراء.

السـؤال التاسع: ج- ليلة المبعث الشريف.

الفائز بالجائزة الأولى: فاتن سليم صالح/ بغداد ـ البيّاع

الفائز بالجائزة الثانية: محمد رسّوم سعيد/ بابل ـ نادر/ ٣

الفائز بالجائزة الثالثة: فاطمة حسّون عبد علي/ النجف ـ -حي القدس

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٦٥)

١ ألا يـــا قاصد الـــــزوراء عـــــرج
على الغربـــي مـــن تلـــك المغانـــي
ونعليـــك اخلعـــن واخضع خشـــوعاً
اذا لاحـــت لديـــك القبتـــانِ
فتحتهمـــا لعمـــرك نـــار موســـى
ونـــور مـــحـــمـــد متقابـــلانِ

أبيات قالها شاعر في مدح الإمامين الكاظمين عليهما السلام، من هو ذلك الشاعر؟

أ- الفيض الكاشاني ب- الشيخ البهائي
ج- الشريف الرضي

٢ لما قرب ارتحال الإمام الباقر عليه السلام إلى عالم الآخرة أوصى ولده الإمام الصادق عليه السلام بجملة وصايا كان منها: (أن تنوح عليه النوائح في منى أيام موسم الحج)، فكم حدد عليه السلام المدة الزمنية لإقامة المجالس هذه؟

أ- ١٠ سنوات ب- ٥ سنوات ج- ٣ سنوات

٣ ناشد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جماعة ممن شهدوا يوم غدير خم وأشهدهم على صحة ذلك الحادث وقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، فقام بعضهم وشهدوا بذلك، فكم كان عدد هؤلاء الشهود؟

أ- ١٢ رجلاً ب- ١٥ رجلاً ج- ١٧ رجلاً

٤ مسلم بن عقيل، سفير الحسين عليه السلام وابن عمه، قلده السفارة إلى الكوفة ليكون ممثلاً له فيها وليستعلم نيات أهلها ومدى التزامهم بما عاهدوا عليه الإمام الحسين عليه السلام بالنصرة والتضحية، كان مسلم زوجاً لأخت من أخوات الإمام الحسين عليه السلام، فمن هي زوجته؟

أ- خديجة بنت أم البنين ب- أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء
ج- رقية بنت الصهباء التغلبية

كوبون المسابقة

ينابيع

٦٥

الاسم الثلاثي: العنوان:

جواب السؤال الأول	أ	ب	ج

جواب السؤال الثاني	أ	ب	ج

جواب السؤال الثالث	أ	ب	ج

جواب السؤال الرابع	أ	ب	ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ صفر/ ١٤٣٧هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

٥ من أبناء ميثم التمار، صحب الإمام الباقر عليه السلام وسمع منه الكثير، ومما سمعه منه قوله عليه السلام:(من بات ليلة عرفة بأرض كربلاء، وأقام بها حتى يعيد وينصرف، وقاه الله شرّ سنته) فمن يكون؟

أ- شعيب ب- إسماعيل ج-علي

٦ خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين، كانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، ساندته في دعوته وبذلت مالها من أجل نشر الإسلام، وهي أم أولاده كلهم إلا إبراهيم، فمن هي والدته؟

أ- ماريا القبطية ب- زينب بنت جحش

ج- صفية بنت حيي

٧ (أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى المحقق الحلي، واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجة وأسرعهم استحضاراً) كتب شرائع الإسلام فكان فتحاً في مجال الدراسة الفقهية، متى وأين ولد؟

أ- ٦٠٢هـ/ الحلة ب- ٦٠٥/ كربلاء

ج- ٦٠٧/ الكوفة

٨ لما نظم الشاعر الشيخ كاظم الأزري قصيدته المشهورة (لمن الشمس في قباب قباها)، سمعها أحد العلماء المبرزين والذي لُقّب باسم كتابه الذي ألفه فتمنى ذلك العالم أن تكتب قصيدة الأزري في صحيفة أعماله بدلاً عن كتابه المتميز عن غيره من الكتب في علم الفقه، فمن هو ذلك العالم؟

أ- السيد بحر العلوم ب- الشيخ صاحب الجواهر

ج- الشيخ كاشف الغطاء

٩ عيد من أعياد المسلمين، روى عن فضله أبو نصر البزنطي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، حيث قال: (إن الله تعالى يعتق فيه من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان، وليلة القدر، وليلة الفطر)، فأي عيد هو؟

أ- عيد المبعث النبوي ب- عيد الغدير

ج- عيد الأضحى

تابعوا

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500 | القمر: نايل سات

قبلتنا

صورة قديمة للحرم المكي أخذت حوالي سنة ١٣٢٨ هجرية ويظهر في الصورة مقام ابراهيم عليه السلام قبل رفعه سنة ١٣٨٤ هجرية